

Rewayat2.com

E.S.P

EXTRASENSORY PERCEPTION

د. أحمد خالد توفيق

قصص

E.S.P

قصص



د. أحمد خالد توفيق

اسمي (صند النياحري) ، لدي موهبة تجعلني قادرة على
إيجاد الحقيقة في لغز الحوادث وأكثرها غموضاً .. هكذا
استطعت أن أرفع الستار عن قصص حيرت الكثيرين وحيرت
رجال الشرطة. هناك أسماء كثيرة لموهبتي تلك فهي
حزمة كاملة من القدرات التي يطلق عليها العلماء اسمها
(الحاسة السادسة). بينما أفضل أن أطلق عليها اسم
البدونك الفائق للحواس أو E.S.P ...



د. احمد خالد توفيق



E.S.P



د. أحمد خالد توفيق

E.S.P

قصص

دار ليلي للنشر والتوزيع



دار ليلي

جمهورية مصر العربية

23 ش السودان - المهندسين

هاتف:

33370042

محمول:

0123885295

الموقع:

www.darlila.com

البريد الإلكتروني

mail@darlila.com

الكتاب:

E.S.P

التأليف:

د. أحمد خالد توفيق

رقم الإيداع:

2009/23248

...

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

...

الإشراف العام:

أ. محمد سامي

...

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع

أو نشر دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.



فمني يا هند

لا أدري حقاً متى عرفت أنني أختلف عن الأخريات..
ربما كان هذا وأنا في سن السابعة عندما كنا نلعب تلك اللعبة
التي نخفي فيها الكرة في مكان ما، ثم يكون على واحدة منا
أن تبحث عنها وهي تردد: "رحت فين يا كرة؟.. رحت فين
يا كرة؟"

كانت صديقتي في المدرسة يعانيين صعوبات جمّة في
العثور على الكرة، لكن ما أعرفه عن نفسي هو أنني كنت
أراها في خيالي بوضوح تام خلف تلك الشجرة أو وراء هذا
السور. هكذا كنت أجدها فكانت البنات يشهن في دهشة..
بالنسبة لي لم أشعر قط بأنني أملك أية موهبة على الإطلاق..

لقد رأيت الكرة فأحضرتها.. ما الموهبة هنا؟.. صحيح أن الكرة كانت في تلك الحفرة أو خلف ذلك السور لكنني وجدتتها.. ما المشكلة؟

في سن المراهقة بدأت ألاحظ بالفعل أن هناك شيئاً غريباً يتعلق بي.. يمكنني بسهولة أن اجد الأشياء المخفية.. لو أمسكت بشيء فمن الوارد جداً أن أضمن من الذي كان يمسك به وما كان يشعر به وقتها..

هناك ما هو أغرب.. مثلاً ذلك الأستاذ المسن الوقور في مدرستي.. لقد صافحني ذات مرة مهنئاً على تفوقي، وفي اللحظة التي لمست يده فيها عرفت أنه يهيم بي حباً ويكتم هذا.. يسهل أن تقول إنني كنت أتوهم لأنه من المستحيل أن يهيم أستاذ في الخمسين من عمره بمراهقة في الثالثة عشرة.. يمكنك أن تعتقد هذا لكنني أؤكد لك أنني على حق..

الغريب أنني في البداية لم أجد غرابة في هذا كله وبشكل ما كنت أعتقد أن كل الفتيات مثلي.. ثم بدأت

أفهم. مثلاً أقول في توجس إن هناك حريقاً في أحد فصول المدرسة فتصخر مني الفتيات، ثم نسمع الصراخ ونرى الدخان بعد هذا بنصف ساعة.. عندها تنظر لي الفتيات في دهشة بينما أدرك أنا أنني أختلف.. بالتأكيد أختلف..

يجب أن أعترف أن هذه الموهبة ساعدتني على التفوق في دراستي، لأنني كنت أضمن ثلاثة أرباع أسئلة الامتحان قبل دخوله. هناك ربع يظل مبهماً والسبب كما عرفت هو أن هذه الموهبة غير خاضعة لإرادتي على الإطلاق.. بالواقع هي غير خاضعة لأي قانون.. أحياناً تتخلي عني تماماً وأحياناً تلاحقني بإصرار.. أحياناً تمنحني كل شيء وأحياناً تكون شحيحة..

أنا اليوم في العشرين، وقد كونت نظرية لا بأس بها عن نفسي..

هل تريد سماعها؟

اسمي (هند الشافعي).. لو كنت ممن يحبون الجمال
 الفكتوري الرقيق الشفاف الذي يوحى لك بأن صاحبه
 ستموت بالسل بعد دقائق.. لو كنت تحب القامة الفارعة
 والأطراف البلورية القابلة للكسر، والبشرة شبه الزجاجية،
 والعينين الحالمتين المتطلعيتين للسماء كعيون القديسات في
 الصور.. لو كنت تحب هذا فأنت سوف تجدني فاتنة!... أما
 لو كنت ممن يحبون الجمال الحي الوثاب اليقظ المغمم
 بالأنوثة فلسوف تراني أقرب إلى السحلية السقيمة التي
 تبعث فيك مزيجاً من التقرؤ والرعب..

أبي مهندس بترول رقيق الحاشية ودود، لكنني لا أراه
 تقريباً... طبيعة عمله تجعله يمضي معنا أسبوعاً واحداً كل
 شهرين. أمي معلمة اكتسبت الكثير من الحزم والصرامة،
 وهي تعتقد أن حنان الأمومة نوع من الضعف لا ينبغي
 إظهاره.. فقط عندما أمرض أو يتهددني خطر ما أدرك أنها
 حنون فعلاً.. لي أخ أصغر سنًا وأخت أكبر سنًا..

حالياً أنا طالبة في كلية التجارة.. لقد تخلت عني
 موهبتي في الثانوية العامة فلم أحقق مجموعاً طيباً، لكن
 الموهبة عادت لي في سني الدراسة لهذا أنا أيقونة دفعتي
 ورمز تفوقها، ولا شك أنني سأكون من أعضاء هيئة التدريس
 عندما أنهى دراستي لو لم تتخل موهبتي عني..

كان هذا هو الوقت الذي عرفت فيه الدكتور (محمود
 الألفي).. كان قريباً لإحدى صديقاتي، وقد قالت لي إنه
 طبيب نفسي لكنه كذلك مهتم جداً بما يدعى بعلم
 (الباراسيكولوجي).. طلبت منها أن أقابله، وقد كان أن
 رتبت لي لقاء معه في حفل خطبة إحدى قريباتها. هكذا وقفنا
 في الشرفة بينما صخب الحفل من خلفنا.. لم يكن أصلع الرأس
 ملتحيًا تطل نظرة مخبولة من عينييه وراء العوينات كما
 توقعت.. كان كهلاً وسيماً في الأربعين من عمره، وقد استمع
 لما أقوله في اهتمام..

حكيت له عن تلك الموهبة الغريبة التي لا يعرف
 سرها إلا قليلون.. كان رد فعله غريباً جداً فقد مد يده في

جيبه وأخرج مجموعة من البطاقات. بطاقات لم أر ما هو مرسوم عليها لكنها بدت لي كبطاقات اللعب.. غريب هو الرجل الذي يحضر حفل خطبة وبطاقات لعب في جيب سترته. لوح بالبطاقة الأولى بحيث كان ظهرها لي وقال:

"هذه البطاقات تدعى بطاقات (زهر).. حاولي أن تخمني محتوى هذه البطاقة التي في يدي.."

فكرت للحظة.. خيل لي أنني أرى موجة بحر.. قلت في تردد شاعرة بسخفي:

"ربما.. ربما.. موجة بحر؟"

مد يده ولوح ببطاقة أخرى.. نجمة؟.. وهكذا راح يعرض علي البطاقات التي لا أعرف ما رسم عليها وفي كل مرة يطلب مني أن أخمن. في النهاية قال لي:

"أنت نجحت في تخمين خمس عشرة بطاقة من مجموع خمس وعشرين.. لا شك في أنك تملكين قدرة الإدراك

الفائق للحواس أو ESP.. أي إنك من البشر الذين لا يحتاجون إلى الحواس الخمس المعروفة كي يدركوا العالم من حولهم. ويقال إن هذه الحواس غير المعروفة كانت لدينا جميعاً ثم انقرضت.. هناك أنواع عدة من الإدراك الفائق للحواس؛ منها التخاطر أو قراءة الأفكار telepathy أو قراءة العواطف telempathy وهناك psychokinesis أي تحريك المادة عن بعد.. والاستبصار Precognition وهو رؤية المستقبل.. ورؤية أشياء ليست أمامك Clairvoyance.. وسماع أشياء بعيدة Clairaudience. أما الـ Psychometry فهو قدرة الإحساس بمن لمس الشيء Bilocation.. هو موهبة التواجد في مكانين في الوقت ذاته Pyrokinesis.. هي القدرة على إشعال الحرائق ذهنياً Apportation.. هي القدرة على إحضار الماديات إليك.. "

"يبدو لي معظم هذا كلاماً فارغاً.."

"هو كذلك في معظمه.. لكن لا تنكري أن بعض ما قلته لك

موجود عندك.. إن الأمريكي (جوزيف بانكس راين) هو أول من حاول دراسة هذه الظواهر بشكل إحصائي. في البداية درس علم النفس ثم مزجه بالظواهر الروحية لينشأ علم جديد اسمه (باراسيكولوجي). المشكلة هي أن هذه التجارب لا يمكن تكرارها.. بينما من أهم شروط الظاهرة العلمية قابليتها للتكرار، وهذا يعني أن هذه الظواهر خارج قانون الموضوعية العلمية

- "وبم تنصحنني؟"

- "لا شيء.. أنت تملكين موهبة فاحتفظي بها ولا تذهبي سرها فيشك الناس في سلامة عقلك. فقط حاولي أن تستعمليها لمنفعة الناس ومنفعتك"

هكذا تركته وقد فهمت.. أنا لست مريضة لكنني مختلفة بشدة.. وكما حدث في قصة (بلد العميان)، وجد المبصر الوحيد في بلد العميان أن البصر لا يفيد كثيراً، بل يجعل تعايشه مع الآخرين صعباً.. وهكذا فكر جدياً في أن يسمح لهم باستئصال عينيه..

عدت أمارس حياتي المعتادة إلى أن جاء يوم كنت فيه في الكلية عندما دق الهاتف المحمول..

جاء صوت صديقتي الباكي عبر الهاتف:

- "هند.. إنها عمتي.. عمتي.. لقد ماتت.. د.. (محمود الألفي) هنا في بيتها وهو مصر على أن تأتي.. لا أعرف السبب"

طلبت منها أن تهدأ.. انتظرت ثانية حتى تذكرت أن هذا هو اسم الطبيب النفسي الذي قابلته من قبل. ما دوري في الموضوع؟.. على كل حال لم يكن هناك مفر من أن أستقل سيارة أجرة وأسرع إلى العنوان الذي ذكرته لي..

هناك كان الزحام شديداً.. الغريب أن هناك الكثير من رجال الشرطة ورجال البحث الجنائي، وقد دخلت الشقة بصعوبة. استطعت أن أرى أن غرفة النوم مفتوحة وأن هناك جثة على الفراش مغطاة بملاءة.. وكان هناك رجل يبكي في حرارة..

فجأة شعرت بتلك اليد الحازمة تمسك بيدي.. نظرت له في دهشة فوجدت د.(محمود) هذا يبتسم مهدئا ويقول وهو يقتادني إلى جانب:

ـ "لا تنسي أن الفقيدة قريبتني.. الفكرة هنا أنها انتحرت.. نعم.. ابتلعت زجاجة كاملة من الحبوب المنومة ثم رقدت على فراشها بينما زوجها وأولادها في العمل والمدارس.. عندما عاد وجدها ميتة، وجوارها ورقة كتب عليها (سامحوني).. يقول زوجها إنها كانت مصابة باكتئاب مزمن "

ـ "مسكينة"

ـ "ليس الأمر كذلك... أنا أعرف الشخصيات التي يمكن أن تقدم على الانتحار.. الفقيدة ليست منها.. كانت متدينة متفائلة، لهذا لا أبتلع هذه القصة.. أريد أن تقومي بجولة في الشقة وتفكري بعمق.. أعتقد أن موهبتك قادرة على التقاط شيء.. حممني يا هند.. حممني"

ثم تبادل كلمات مع أحد الضباط الواقفين فهز رأسه..

هكذا سمحوا لي بدخول غرفة النوم.. كانت قدمي ترتجفان لكنني برغم هذا لمست الفراش ولمست الملاءة الموضوعة فوق الجثة. هناك كوب فارغ جوارها وعلمة دواء.. كدت ألسهما لكن أحد الرجال صاح في عصبية أن اللمس ممنوع من أجل البصمات.. تشممت الجو... كدت ألس الورقة جوار الفراش التي كتب عليها (سامحوني).

الحزن.. اليأس.. لا يوجد.. لا يوجد.. فقط أشم الخديعة.. الخيانة...

خرجت من الغرفة وسط الزحام واتجهت إلى الزوج الباكي.. مددت يدي إليه وهمست ببعض كلمات العزاء فنظر لعيني وارتجف..

عدت للدكتور (محمود) وقلت له وأنا أرتجف:

ـ "نعم.. نعم.. شعرت به عندما لمسته.. الزوجة تصحو من النوم شاعرة بصداع عنيف.. تبعث أولادها للمدرسة ثم تعود للفراش.. يتجه الزوج إلى المطبخ ويتخذ قراره بسرعة

البرق.. يعد لها كوبًا من عصير البرتقال ويفرغ فيه علبة كاملة من المهدئ.. يعود لها ويلطفها ويقدم لها العصير.. تشرب.. بعد دقائق تروح في عيبوبة. يضع جوارها علبة الدواء الفارغة ويحرص على أن يطبق كفها عليها لتتغطي ببصماتها، ويضع جوارها المذكرة ثم يغادر الشقة ذاهبًا للعمل.. يعود ظهرًا ليملاً لدنيا صراخًا.. إنه يمثل جيدًا..

قال بأسًا

- "هو يقوم بتحويل عاطفة إلى أخرى.. عاطفة الخوف يحولها إلى عاطفة الحزن واللوعة.. كل ممثل بارع يعرف هذه الطريقة.. أن وثق مع رأيتك أنت تمامًا.. أعرف أن هذا ما حدث فعلاً"

- "هل ستخبر الشرطة به؟"

- "الشرطة لا تقبل أدلة قائمة على الحدس كهده.

نحن نعرف الحقيقة لكننا لا نقدر على إثباتها.."

اتجهت في تودة إلى سلة المهملات الموضوعة في الصالة.

عبثت فيها ثم أخرجت ورقة مطوية وفردتها ببطء، وقلت له - "هل ترى؟"

كان المكتوب على الورقة المعزقة هو (لم أتمكن من طهي الغداء لأسني ذاهبة لأختي....). طبعًا يسهّل أن تعرف الكلمة التي كتبت بخط كبير أسفل لصفحة والتي مرقها الزوج لتكون رسالة بخط زوجته.. (سمحوني) .. طبعًا واضح أن آثار التمزق تتطابق في لورقتين.. الزوجة كتبت العبارة منذ أيام لأفراد أسرته كنوع من المزاح غير عذبة أنهم ستكون رسالة انتحارها...

لكن هل هذا دليل كاف؟..

وفجأة صحت وقد خطرت لي فكرة لا بأس بها

- "من يتعاطى المهدئ؟"

- "يقول زوجها أنه يتعاطاه.."

- "حسن.. هذا نواء الزوج إذن.. سوف يفحص رجال

عنوان الحقيقة

علاء رقيق ومهذب له عيدن صبورن صامتتان نقدران
حاجتك أو ضيقك وتفهمان.

إنه شفاف صموت وقد أحاطني برعايته منذ دخلت
الكلية، لكنني لم أسمح لمشعري بأن تنمو تجده، لست
واثقة من أنه يحبني فعلاً..

لكنك تعرف موهبتي التي اختصني الله بها، والتي لو
امتلكتها فتيات كثيرات لانتهدت مشاكلهن. فقط هي لا تأتي في
كل وقت.. لا تأتي عندما أريده. ليتني أعرف ذلك المفتاح
السحري في روحي الذي أضغط عليه فأمتلك الاستبصار والتخاطر.

الشرطة الصمت على العلبة ولن يجدوا بصمات الزوجة إلا
خارجها بمعنى أنهم لن يجدوها على شريط الدواء الفارغ
بالداخل لسبب أن الزوج جعل كف زوجته تطبق على العلبة
المغلقة لكنه لم يجعلها تلمس الشريط فكيف يمكن لها أن
تفرغ لأقراص من دون أن تلمس لشريط الذي يحتويها؟
أعتقد أن هذا دليل كاف..

نظر لي للحظة وشاعت على قسمائه علامات امتنان
ثم قال:

- "وبالطبع بصمات الزوج ستكون على كل شيء..."
ثم رأيت وجهه يتجه إلى أحد الضباط الواقفين، فيقول له:
- "لو تسمح لي بكلمة.. هذا ليس انتحاراً.. ويمكنني
أن أبرهن على ما أقول.."

لم أسمع باقي المحادثة لكن بوسعي تخيل ما قيل.



حدث هذا بطريق الصدفة والسبب أنه أحرق.. أنا متحفظة بطبعي لهذا لم أسمح له بأن يلمسني قط كل علاقتنا كانت هي الوقوف والكلام بصوت خفيض مع تلامس النظرات من حين لآخر، لكنت في ذلك اليوم جليسا على السور المجاور لحوض الأزهار وقد وضع كل منا كشكول محاضراته جواره، وكان الوقت عصرا ولم يكن هناك أحد..

في حركة أرادها أن تبدو عموية مد أنامله وأمسك بأصملي واعتصره بقوة التأثير كان قوياً لأنني أنجلت، وفي اللحظة ذاتها رأيت نفسي بعين الخيال في صورة مزرية مشينة

انترعت يدي مجفلة وقد فهمت.. ما رأيته هو ما يدور في ذهنه الآن. إنها موهبة قراءة العواطف telempathy تفصح عن نفسها..

يقول الغربيون إن الجذئلان هو مجرد نذب صبور.. يبدو أن هذا التعريف ينطبق على علاء أكثر من أي شخص

آخر لقد كان يفكر.. لا يفكر في مستقبل ولا الرومانسية ولا الرهرة الجافة بين صفحات كتاب. كان يفكر في شيء واحد.. هكذا نهضت غاضبة وابتعدت..

نهض لاحقا بي وقد ظن أنني غضبي لأنه أمسك بيدي. الواقع أن هذا صحيح، لكن الأسباب أقوى مما يظن..

هل من المريح أن تملك القدرة على رؤية نفس عراة؟... هذا يشعر بأنه ما من مكان آمن وما من شخص نقي. من الأفضل أحيانا ألا ترى كل شيء.. أن الضوء الساطع يؤلم العينين حقاً وبعض العمى قد يكون صحيحاً..

في الأيام التالية اتصت بي علاء كثيراً، وفي لكينة كان يحاول أن يكلمني لكنني تمسكت بالبقاء وسط صديقتي، وهذا ما لم يفهمه..

لم يفهم أحد سبب انهيار علاقتنا السريع، ولكن هذه أشياء لا تُحكى..

هكذا مرت الأيام وعدت إلى الدراسة كما أردت

لننسي .

لا يعرف أبي وأمي شيئاً عن موهبتي تلك.. ربما لاحظت أُمي أشياء معينة، لكنها دوماً تفترض أنني ذكية أو أريبة لا أكثر..

كنت عائدة لبيتي في ذلك اليوم، فاستعددت لتناول لغداء عندهم دق جرس الهاتف..

هذه (نجلاء) صديقتي الحميمة.. تتحدث في لهجة مقلقة توحي بأنها لا تعرف كيف تبدأ.. ثم قلت في النهاية -"هل وصلتك رسائل معينة على شبكة الإنترنت؟" رسائل تخصك؟"

قلت لها ضاحكة إنني لا أفهم بالضبط..

- "إذن سأرسل لك عينة من هذه الخطابات.. أرجو أن تهديني لتفكر فيما يجب عمله"

لم أفهم.. وفتحت جهاز الكمبيوتر متوجسة وانتظرت

بعض الوقت حتى ظهرت الأيقونة التي تخبرني بوصول خطاب جديد.

فتحت الخطاب فسقطت على مقعدي بعد ما تحلت قدماي عني..

هذه أنا.. هذه الصورة لي.. هذا التعبير على الوجه كان في حفل للتكلية، وهذه الصورة لدى عدد كبير من أصدقائي وصديقاتي لأننا كنا نحو عشرة في الكادر..

فقط قام وغدما . خنزير ما.. قدم بقص لوجهه ولصقه بطريقة (الفوتومونتاج) على صور مشينة أخذها من أحقر مواقع البورنو على الشبكة. رفعت عيني بسرعة لأرى اسم المرسل الأصلي للخطاب فوجدته يحمل اسم (عنوان الحقيقة).. هذا الوغد..

هناك نحو عشر صور.. واضح أن من لعقها أحمق، لأن هذه الأجساد لوديلات محترفات كميات لأوشة بينما أنا نحيلة بشكل لا يصدق.. لن يصدق أحد أن هذه الصور لي

هذا أكيد . لكن هذا لا يمنع من كونه شهيراً علنياً يثير
الرعب..

قائمة الذين أرسلت لهم هذه الصور لا تقل عن
العشرين معظمهم من صديقاتي وزملاء الكلية..

من فعل هذا جعل حياتي مستحيلاً لا شيء يتلشى
على شبكة الإنترنت ولا يمكن ملاحقة شيء.. سوف تظل
هذه الصور تبرز من مكان ما وتخرج من العدم إلى الأبد..

لقد قتلني..

انفجرت باكياً...

وفي لحظة الانفجار هذه وسط الدموع ورجمة الغيظ
ولعار خمنت بوضوح من فعل هذا.. (علاء) طبعاً.. (علاء)
الرقيق لحلم.. ففعل ما يفعله الرجال مرهفو الحس: ترفضه
الفتاة فيعاملها كم ينبغي للجنجالين يشهر بها ويدمر
شرفها...

لم يكن اتهامي لـ (علاء) بسبب ذكائي الشديد، ولكن

لأنني تخيلته لربع ثانية جالساً أمام شاشة الكمبيوتر في
مقهى إنترنت معزلة، وهو يدرس قرصاً مدمجاً حمله معه في
الجهاز.. ينظر حوله ثم يبدأ في إرسال هذه القصيدة إلى
مجموعة عناوين..

لا تنهاري يا فتاة.. يجب أن تنتقمي.. يجب أن
يعرف الناس من فعل هذا..

هكذا سحبت الصور بيد ترتجف على قرص صلب، ثم
ناديت أمي..

كانت لحظات قاسية وأن أحكي لها كل شيء وهي
تصرب صدرها بيدها.. لا تصدق.. لم تزد أن ترى صورة
واحدة، لكنها ارتدت ثيابها حلاً وسرعان ما كن نتوجه إلى
شرطة الآداب..

الضابط الذي أصفى لكلامه قال إن القصة شهيرة جداً
وتحدث مرات لا حصر لها..

قال لنا

..الأمر سهل جداً.. لو كان مرسِل الخطابات يرسلها من داره ومن حسابه لبريدي فقد انتهى أمره.. لو كان يستعمل مقهى إنترنت فالأمر صعب نوعاً.. نحتاج إلى وقت.."

بالطبع سوف يكتشفون في الأيام القادمة أنه افتتح حساباً بريدياً جديداً، وأنه يرسل كل شيء من مقهى إنترنت.. هم قادرون على تحديد مقهى الإنترنت، لكنهم سوف يكتشفون أن المقهى لا يحتفظ بسجل دقيق لأسماء مرتاديه ولا عناوينهم.. لو كان الرجل يرسل الخطابات بانتظام بحيث يمكن مراقبة المقهى لكان الأمر سهلاً، لكن مرسِل الخطابات فعلها مرة واكتفى.. أطلق قذيفته وتركها تنفجر ولم يعد يتردد على المقهى..

هناك حيلة أخرى تنجح دوماً هي أن أرد عليه وأطلب لقاءه.. معظم هؤلاء يعميهم الإغراء عن واجب الحذر، وهناك في مكان اللقاء ينقض عليه رجال الشرطة.. لكنني جربت هذه الحيلة ولم تجد شيئاً.. لم يرد...

يمكن أن أعطيهم اسم (علاء) وأتركهم يفتشون جهاز الكمبيوتر الخاص به، لكن ماذا لو كنت مخطئة؟.. سوف تلصق به التهمة حتى لو كان بريئاً منها.. أنت تعرف كيف تولد الإشاعات في مجتمعنا قر لصاحبك إن (سمير) لم يتحرش بزميلته في العمل.. سوف يسألك في دهشة: هل هناك من قال شيئاً كهذا؟.. هنا ترد في حكمة: أب أنفي عنه التهمة ولا أثبتها بعد قليل يردد الناس القصة، فلا تبقى في ذاكرتهم سوى بقايا مبهمّة عن أن (سمير) تحرش بزميلته في العمل لكنه ينكر هذا.. دعك من التظاهر بالغموض ومعرفة مواطن الأمور.. نحن نعرف أكثر لكننا نفضل عدم أكل لحم أخينا ميتاً..

نعم.. ما لم أجد الدليل فلسوف أصمت..

أخذت إجازة من الكلية لعدة أيام.. لا أتصور أن أعود للكلية فيتحيل كل من يراني تلك الصور..

ولا أعرف كيف ولا متى حملتني قدمي إلى عيادة د. (محمود الألفي) الطبيب النفسي الذي كان أول من أخبرني

موهبتي هيك في عيادته بكيت كثيراً جداً وهو لا يفهم ما حدث . ثم ناوسه قرصاً مدمجاً عليه تلك الصور اللعينة.. لغريب إنني أخرج منها كأنها صوري فعلاً لكنني كنت أشعر أن هذا لرجل جزء من ذاتي، وبممكن أن يعرف كل شيء.. دعك من أنه طبيب طبعا..

رح بفحص الصور على شاشة الكمبيوتر، وشرني أن أي تعبير لم يبد على وجهه كأنه يقرأ عناوين صحف اليوم، ثم قال:

-تلفيق ساذج يدل على موهبة ضحلة.. هذا شاب في سنك غالباً من نوع منطو ذكي وحذر، وهو كذلك من الطراز السيكوباتي لذي لا يبالى بمواقب ما يفعل . ابحثني عن لشخص الذي لديه صورة تظهر وجهك في هذا الوضع. "

-للأسف هناك كثيرون. كان هذا حفلاً للكلية ومن الممكن أن تكون هذه الصورة عند عشرين شخصاً على الأقل. "

قال في خبث:

-لكمك كونت فكرة عن لفاعر طبعا. أنت لم تفقدي حاسنك بعد-

قلت في استسلام

-اسمه (علاء) . كن يحبني ثم شعرت بأنه لا يحمل بحوي مشاعر نظيفة لذا بتعدت عنه كل شيء يقول لي إنه الفاعل لكن لا براهيم.."

-هذه هي المشكلة.. ولا تريد أن تهلفي الشرطة عنه خشية أن تكوني مخطئة.. مع أنه على الأرجح يحفظ بأصول هذه الصور على جهازه لأنه قطعاً قدم بتلفيق الصور وحده في بيته"

-أنت لخصت الأمر.. "

جلسنا نضع الخطة الوحيدة الممكنة..

بما أنه - علاء - يحمل هذا القدر من الرغبة في،
فالدكتور (محمود) يرى أن علي أن أرس (عنوان الحقيقة)

هذا . لقد فشلت مرة ، لكن لا بد من أجرب ثانية . كسب لي العبارات التي يعتقد أن ملفق الصور سوف يضعف أمامها . فهمه لشخصيته كطبيب نفسي جعله ينتقي عبارات معينة . لن يقوم .. سوف تحدد لي مكان وساعة اللقاء وتبلغني الشرطة ..

” ومن أدراك أنه سيفتح بريدك الإلكتروني من جديد .. ربما أنشأه لغرض واحد وقد فرغ منه ؟ “

” سيعود .. طبيعة هؤلاء النفسية تحتم أن يعود لبريده الإلكتروني ليرى ردود فعل من وصلتهم هذه الصور .. لن تكتم لذته ، المحرمة إلا بهذه الخطوة .. “

هكذا حسنت وكتبت ردًا على (عنوان الحقيقة) قلت إنني قد صدمت عندما رأيت هذه الصور ، لكنني بعد قليل وجدت أنها تثير خيالي وأرغب في أن أقابل هذا العبقري الذي جعلني أرى نفسي في عالم لم أتصوره من قبل . كتبت الرد على جهاز د. (محمود) وأرسلته ..

قال لي د. (محمود):

” لو كنت محقًا سوف يصلك الرد خلال أيام ، وعليك أن تطلبي منه اللقاء في مكان وزمان معينين .. لو وافق تطبعين الخطابات وتسلمينها لشرطة الآداب أو مبحث الإنترنت .. “
هكذا ظلت أنتظر .. أنتظر ..

ما جاءني بعد يومين لم تكن رسالة ، ولكن كان اتصالاً هاتفيًا من شرطة الآداب .. قلوا لي إنهم قبضوا على مرس الخطابات .. لقد قرر أن يجرب حظه ويرسل خطابًا من بيته هذه المرة ، ولم يدر الأحمق أن هذا جمع اقتفاء الرسائل سهلاً .. لقد سلم أحد أصدقائي الذين تلقوا الخطاب نسخة للشرطة ، وهكذا وجدوا مزود الإنترنت ، وتتبعوا أرقام الهاتف عنده حتى وجدوا المرسل

” ليست لدينا شكوك .. لا يقيم في هذا العنوان سوى شخصين واحدة منهما أم عجوز لم تسمع عن الكمبيوتر أصلاً “
وفي فخر فتح الصابط لباب الجاسبي لمكتبه ليكشف لي

عن الفاصل.. هنا رأيت (نجلاء) صديقتي!

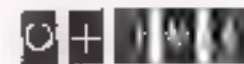
كانت جالسة تعتصر مندبلها دامعة العينين، فلما
رأيتني قالت في توحش.

ـ "كنت أمقتك طيلة حياتي.. أمقت تفوقك الدراسي
وتظاهرك بالاحترام والوقار والأصل الطيب!.. وفي النهاية
تطلبين من (عنوان الحقيقة) اللقاء لأن الصور أثرت خيالك .
كنت أعرف أنك مخادعة كبيرة!"

الأرض تموص من تحت قدمي . أعتقد أنني فقدت
الوعي فعلاً.

وعندما أفقت عرفت أن موهبتي خدعتني هذه المرة..

كما قلت لك: لبيتني أعرف ذلك المفتاح السحري في
روحي الذي أضغط عليه فأمتلك الاستبصار والتخاطر .
موهبتني حصان متمرد ومن الخطر أن أثق فيه أكثر من
اللازم..



أضرب.. وفر

فيما بعد أمكنني أن أرسم الصورة العامة لما حدث..

الليل والبرد وبداية أمطار. هذا مناخ فريد من نوعه
لأننا لسنا في سيبريا، لكن هذه هي الليلة التي اختارها
(شاكر) كي يقصد قريته..

بدأ المطر يهمهم على زجاج لمسيرة، فراحت المساحات
تعمل.. وكان قد أغلق الزجاج فتحولت العربة إلى مهد دافئ
مريح يدوي فيه صوت أم كلثوم العذب، وهي تغني (هده
ليلتي). لا بد أن هذا الأمر يذكره بدء الرحم لأنه يشعر
بأمان غريب..

لسيرة دافئة، لكن شيئاً من القلق ينتدبك لأفك تحشى
أن يحدث شيء . شيء يرغمك على الترحل والنزول للبرد
والضلام بالخارج..

من الممكن أن يبطئ أكثر، لكن هذا يطيل لحظات التوتر
والملل، بينما الإسراع يهوي الأمر بسرعة . سوف يرى القرية
وسوف يوقف لسيارة أمام بيت أسرته ويترجل، وفي الداخل
سوف تعانقه أمه وتسال عن أحواله وتقول إنه فقد الكثير من
الوزن لأنه يعيش حياة مبعثرة في القاهرة. سوف تعد له عشاء
دسماً ولكنها لن تتركه ينام في سلام حتى الفجر..

الطريق ضيقة متعرجة.. أشجار على الجانبين وتلك
الثرمة اللعينة التي تتدلى فيها غصون الشجر . من السهل أن
تنزلق فيها لو لم تكن تحفظ الطريق من ظهر قلب..

كشف لسيارة يبدو كأنه يخلق طريقاً جديداً في كل
لحظة . كلما شعرت بأن الطريق انتهت عند هذا الحد،
فتحت لك الكشافات آفاقاً أخرى..

أم كلثوم والدفع وصوت المحرك..
وفجأة.

لم تقبين من أين جاءت ولا متى هبرت الطريق لكنك
رأيتها أمامك في لحظة واحدة. لم تكن تنظر للطريق به كانت
تعبره في إصرار، ولم يكن هك وقت لأي شيء لأنك لو دست
الكوابح لأمقلت السيارة..

هكذا تم الاصطدام.. قوياً كان.. صوت المعدن وهو
يمحق العظام ثم تلاشت المرأة تحت السيارة..

واستمررت أنت بتأثير القصور الذاتي. نحو خمسين
متراً حتى تمكنت أخيراً من أن توقف كتلة الموت المندفعة،
وكانت كل عضلة في جسدك تنقبض..

لا بد أنك ظللت خلف المقود عشر دقائق كاملة
ترتجف . تستعيد المشهد لمروع العاسي. لا بد أنك ظللت
تحمق في زجاج السيارة الذي تمسحه المساحتان في بلاهة.
لا بد أنك بعد قليل بدأت تدرك أبعاد الموقف..

أنت ضربت امرأة . غالباً فلاحاً أرسلها حظها التعس
في هذه اللحظة بالذات . الاحتمال الأكبر أنها ماتت على
لفور.. لا يمكن أن تكون حية..

كنت تعرف ما سوف يجنيه هذا على رأسك.. إنها
ليست من القرية بل من عربة قريبة على حدودها، لكن أهل
هذه المنطقة يتصرفون كالصعيدية ويؤمنون بالثأر . لو أنك
أبلغت الشرطة لوقعت في مشاكل لا حصر لها وكذا أهلك، ولو
دخلت القرية في هذه الساعة فلنستطيع أن نتناثر حولك علامات
الاستفهام . ربما سيارتك هي السيارة الوحيدة التي مشيت على
هذا الطريق منذ الظهيرة . لن تكون هناك شكوك كثيرة..

إن.. الحل الوحيد هو أن تعود أدراجك للمدينة. لن
تكون هناك قرية اليوم..

درت بصعوبة في مكانك.. وبدأت الرحلة الصعبة
عندئذ.. سوف تتصل بأهلك وتخبرهم أنك عدلت عن المجيء
بسبب سوء الأحوال الجوية..

تعر بالبقعة التي شهدت الحادث.. لا ترى شيئاً سوى
كومة سوداء على جانب الطريق تحول ألا تنظر وتزيد
سرعة السيارة أكثر..

سوف تكون العترة القديمة فترة كوابيس لا شك فيها،
لكنك على الأقل لن تكون في السجن..

ما حدث بعد هذا هو أن د (محمود الألفي) الطبيب
النفسي الشهير قد تلقى مع استيقاظه مكالمة من أقاربه في
قريته، تخبره أن قريبة له تدعى (ركية) قد توفيت في
حادث مروع..

- "من فعل ذلك؟"

- "سيارة دهمتها على الطريق ليلاً والسائق قد فر."

تعال حالاً.. "

سوف تكون هناك مشاكل مع النيابة والفلاحون لا
يعنيهم القبض على الفاعل قدر ما يعنيهم أن يدفعوا الجثة
سريعاً.. هذه أمور مهمة جداً عندهم هم بحاجة إلى

د (محمود) بها له من علاقات.

وصع السماعه وفكر طويلاً حتى أشرقت الشمس تماماً،
ثم رفع السماعه من جديد وطلب رقماً صار يحفظه جيداً..
رقم بيتي..

.. "هـ.. أنا بحاجة إليك.. هل يمكنك أن تأتي معي إلى
قريتي صباح اليوم؟"

فكرت قليلاً.. سيكون من العسير أن اقنع أمي بأن
أغيب عن الكلية وأن أذهب مع رجل غريب إلى قريته، ثم
خطر لي أن صديقتي التي هي قريبة د. محمود يمكن أن
ترافقني في كل خطوة..

هكذا لم يمر وقت طويلاً إلا وكنت معه في سيارته
متجهين إلى القرية..

كنت سيرة إسعاف هناك وقد وضعوا فيها الجثة،
وكان هناك رجال شرطة ومحقق من النيابة.. ثم هناك زحام
من الأهالي الذين وجدوا الجثة قدم لهم نعه ثم طلب مني أن

أمشي معه إلى عربة الإسعاف حيث كانت الجثة مغطاة
بملاءة ملوثة بالدم.. قال لي في رفق-

.. "أعرف أن هذا قاس.. لكن عليك أن تلمسي الجثة..
أريد معرفة ما يخطر لك.."

ثم مصمص بهفتيه وقال.

.. "ركبة كانت أرملة رائعة الجمال.. كثيرون كانوا
يحطبون ودها ومن القسوة أن تنتهي بهذا الشكل"

مددت يداً مترددة ولمست يد المتوفاة، ثم استرددتها
بسرعة في جزع.. فقال لي:

.. "حاولي أن تمشي في المكان وأن تطلقي موهبتك من
عقالها.."

كان هناك فلاح عليّ الشفتين يلبس جلباباً أزرق
ويدعونه (مأمون) يدلي بأقواله لوكيل النيابة.

.. "لم أرها إلا مع الفجر يا سيدي.. خرجت للصلاة
وحصل لي أنني أرى شيئاً على الأسفلت.. لم أدرك أنها ركبة إلا

عندما دنوت أكثر.. "

دنوت من د. (محمود) وقلت همساً.

"أعطار.. أم كلثوم.. سيارة زرقاء.. أرى أنها سيارة زرقاء.."

بدأ عليه الاهتمام وهمس بدوره:

"لا ترفعي صوتك ولا حسبونا مخابيل.. ماذا تقولين؟"

"سيارة زرقاء من هذا الاتجاه.. السائق توقف ثم دار من جديد عائداً.."

بدأ عليه الاهتمام.. وقال:

"كن ذاهباً للقرية ثم حدث الحادث.. هكذا عاد أدراجه.. هذا مهم.. وما هو موديل السيارة؟"

قلت في غباء.

"لا أعرف.. لا أعرف موديلات السيارات!.."

"والأرقام؟"

"لم أرها.. ولا أراها.."

بدأت عليه خيبة الأمل، وقال في غيظ دفين:

"هذا لن يتودد لشيء.. هناك في مصر ملايين السيارات الزرقاء.."

قلت في جدية:

"سيارة زرقاء كنت متجهة للقرية ليلاً.. هذا واحد من أسيانها إذن.. يسهل أن نجده.. دعك من أن هناك أثر ارتطام لا شك فيه على مقدمة السيارة.."

فكر قليلاً ثم قال:

"هذا منطقي.. المهم أن أقنع رجال الشرطة بهذه النظرية.."

هنا اقترب منا الفلاح الذي يحمل اسم (مأمون) ليصافح الدكتور فهو يعرفه، ولثمه على خده معزياً. هنا

شعرت بتقزز غريب.. كدت اصرخ رعباً..

دنوت من الدكتور لما صار وحده وهمست في أذنه:

- "مأمون هذا.. أن أخشاه وأكرهه.. إنه الفاعل!"

نظر لي غير مصدق ثم قال:

- "هنا نخرج من دائرة الاستبصار إلى دائرة الهلوس.."

أنت تعرفين جيداً أن هذا حادث سيارة مأمون هذا لم ير
سيارة في حياته.. هل تتوقعين أنه كان يقود السيارة؟"

- "لا أدري.. أن أخشاه كثيراً.. يجب أن يمتقلوه!"

راح يفكر قليلاً ثم بدا عليه شيء من الاقتناع وقال

- "في الواقع لا أجد فكرتك سخيفة إلى هذا الحد.."

ثم نظر إلى مأمون وقال بصوت عال:

- "هل رأيت زكية ليلة أمس يا مأمون؟"

نظر له مأمون في دهشة وهز رأسه نقياً. فعاد

الدكتور يقول:

- "المرأة عبرت الطريق غير مبالية.. لم تلق مظرة قبل

أن تعبر.. كان همها أن تفر.. فما السبب؟.. ما الذي كان

يحيمها إلى هذا الحد؟"

هتف مأمون في استنكار:

- "وكيف لي أن أعرف؟"

- "هذه الأرملة الحسنة كانت تتعرض لتحرشات

كثيرة.. من الممكن أن تتصور أن أحدهم طاردها وكانت

مدعورة إلى درجة أنها لم تنظر قبل أن تعبر الطريق.."

هنا صاح أحد الفلاحين الواقفين:

- "هذا صحيح!.. أنت كنت متجهاً لداره أمس يا

مأمون.. وعندما رأيتني تظاهرت بأنك تقصد جهة أخرى!"

نظر رجال الشرطة إلى مأمون.. لم يعترف بشيء لكن

وجهه كان يقول كل شيء.. هد لرجل سوف ينهار سريعاً

جداً، وتبادل د.(محمود) حديثاً هماً مع وكيل النيابة ثم

دعاني وصديقتي إلى ركوب السيارة..

”شكراً يا هند.. سوف يكون هناك وقت كاف لتلحقي بالكلية لو أردت . سأوصلكما ثم أعود لأن على كاهلي طناً من الأعمال“

وهكذا عدنا..

فقط في الساعة مساء اتصل بي.. كان صوته يفيض بالامتنان والشكر وقال لي:

”لقد صيقت الدائرة كثيراً.. سيارة زرقاء يملكها أحد أبناء القرية.. أخيراً تذكروا (شاكر أبو مندور) . مهندس من القاهرة لديه سيارة فيات زرقاء، وكان هذا مواعده الأسبوعي لزيارة أهله.. لكنه لم يقم بالزيارة تلك الليلة وجده رجال الشرطة في القاهرة ووجدوا سيارته وقد تحطم الرفرف الأمامي تماماً مع تهشم كشافين . لقد أوقعنا بالقاتل ومن أدى إلى القتل.. إنني أكرر شكري لك . لكنني أطلب منك خدمة واحدة“

”ما هي؟“

”أن تحاولي معرفة أنواع السيارات!.. نحن لا نعرف

متى نحتاج لهذه المعرفة في القصة القادمة!“



الحكمة وبعض التفاهة، بعض الجمال وبعض القبح . لا أريد
أن أعيش حياتي كمخبر خارق القدرات.

على كل حال رفعت السماعة متضايقاً من هذه المكالمات
المبكرة. نحر في الصيف ومن حقي أن أدم حتى العاشرة أو ما
هو أسوأ..

قال لي بصوت حار:

”كيف حالك يا همد؟“

قلت في فتور

”هم م م م..“

قال بلهجة ملحة لا تقبل الاعتذار

”سوف يتصل بك ضابط شرطة يدعى النقيب (سمير

البنّا).. قلت له إنني لا بد أن أتصل بك أولاً كي لا يصيبك

الذعر لدى تلقي مكالمته..“

هنا قلت في غيظ



عندما اتصل بي د.(محمود الألفي) في ذلك اليوم في
الثامنة صباحاً، شعرت بغیظ شديد. لن أظل طوال حياتي
العب دور الكلب لبوليسي، كما إن هذا يشعرني بأنني
مخلوق شاذ Freak ..

السبب، الأهم لغيظي كان أن أهلي لا يعرفون سبب هذه
الاتصالات المتكررة.. إنه يخرجني بحق، ولو قلت لهم إنه
يريد أن أشم رائحة لص من أجل رجال الشرطة لا يدهشوا
جداً.. من قال إن أنفي حساس لهذا الحد؟

لقد سئمت هذا.. أريد أن أعيش حياتي كقناة
طبيعية.. فتة تمتلك بعض الذكاء وبعض الغباء، تمتلك بعض

”دكتور كنت متصيقة بما يكفي لأنك تعرف سري، والان صار رجال الشرطة يعرفون الموضوع بشكل رسمي كذلك . هذا معناه أن تصير حياتي جحيماً.. لن يتأخر الوقت حتى أظهر في القنوات الفضائية حيث يطلبون مني تخمين عدد قطع العملة في جيب المطربة الفلانية.. “
صمت قليلاً كأنه أدرك الخطأ الذي ارتكبه، ثم قال.

”هند. تعرفين إن موهبتك حقيقية واننا استطعنا ضبط حالات بالغة الأهمية بفضلك. هذا يعني أنك قادرة فعلاً على تقديم نفع للمجتمع، وأنت تبخلين به لمجرد أنك سئمت.“

هكذا وضعت الساعة ساعة بعض الخجل من نفسي.. وجلست جوار الهاتف.

دق الجرس فرفعت الساعة بسرعة لأجد من يخبرني به القريب (سمير البن) وابه يعرفني جيداً من صديقه د. (محمود لألفي)..

”لا أعرف مدى صحة ما أقوم به، لكن لو أُلقيت لبا شعاع ضوء على القضية فلربما. أنت تعرفين أن المرء قد يجرب كل شيء والغريق يتعلق بالقشة.. “

كان صريحاً وقد راق لي هذا.. هو يعترف منذ لهداية بأنه يشعر ببعض السخف في هذا الذي يقوم به، لكنه مضطرب..

بدأ يحكي لي المشكلة هاتفياً:

” (محمد بسيوني) صراف لدى إحدى الشركات الحكومية، وهو في الثلاثين من عمره ويمر بأزمة مالية طاحنة. دعك من أنه مستجد في هذا العمل “

هنا أوقفته عن الكلام وقلت:

”إن أنت أصدرت لحكم قبل أن نبدأ.. صرف في أزمة طاحنة.. انتهت القصة!“

قال في ضيق

- "لا بد أن تعرفي كل شيء . ليس من لأمانة أن أعفل

هذه النقطة . ما علينا . في اليوم الثلاثين من مايو دخل إلى
المصرف في الساعة صباحاً ، وقام بسحب مبلغ يقترب من
نصف مليون جنيه وهو رواتب الموظفين لهذا الشهر ثم غادر
المصرف حاملاً حقيبة عملاقة .. "

- "من دون حراسة؟"

- "أنت تعرفين أن الأمور غالباً تتم بهذه الطريقة في
مصر .. وغالباً لا يحدث شيء . الشركات الخاصة تتفق مع
شركة حراسة لكننا نتكلم عن شركة حكومية هنا .

"المهم أن الرجل استوقف سيارة أجرة .. من عاداته
عنده يغير المصرف أن يوقف ثاني أو ثالث سيارة على سبيل
تحذر ، وبالطبع لا يركب أية سيارة يبدي صاحبها حماساً بل
يختار سيارات الأجرة التي لا تبدو مهتمة بالبحث عن
زبائن .. يفضل أن يكون السائق عجوزاً بادي المرض . هذا كل
شيء .. "

- "ماذا تعني بـ (كل شيء)؟"

- "لا يذكر ما حدث .. يقول إنه إذ ابتعد عن المصرف
شم رائحة غريبة ، ثم غاب عن الوعي . عندما أفاق كان هذا
بعد عشر ساعات في مخزن مهجور في سوق حضر مجاورة
للمصرف ، وكان مقيداً بالحبال ومكتم . لم تكن الحقيبة
موجودة وقد استطاع الزحف حتى غادر المكان ليجده بعض
الصبية العاملين مع التجار فكوا قيوده وأبلغوا الشرطة . "

- "القصة واضحة فما المشكلة؟"

- "كل هذا ! لا نستطيع البرهنة على أنه كاذب ، لكن
القصة مليئة بالثغرات كقطعة جبن . هل قبل بالصدفة سائق
سيارة أجرة يحمل معه مادة منومة ، وقرر هذا السائق أن
يجرب حظه ؟ . لا توجد مادة منومة تعمل بالشم بهذه
القوة . هذه خرافة شائعة ، ومذا عن الفتية الذين أنقذوه
الذين قالوا إن قيوده كانت رخوة تماماً وكان يوسع فكها ؟ ..
كيف تستطيع حمل رجل فاقد الوعي وسط سوق الخضار

المردحم صباحًا لتلمي به في محزن؟.. لماذا لم يجد الطب
الشوعي أية آثار لمخدر في دمه؟

.. "هل هذا دليل كاف على أنه لم يخطر؟"

.. "لا . بعض المخدرات تكون قصيرة الأجل في الدم..

هذه عشر ساعات كاملة على كل حال.. "

.. "وما هو المطلوب مني؟"

.. "أن تدبلي هذا الرجل وتعطينا أفكارًا.. سوف تصلك

سيارة شرطة خلال نصف ساعة كي.."

صحت في زمر:

.. "لا.. من فضلك.. لا سيارات شرطة وإلا ماتت أمي

زمرًا.. سوف آتي أنا لكم خلال ساعة.. لا تقلق"

هكذا سرعن ما وجدت نفسي أستقل سيارة أجرة -

وأن كتم أنفاسي كي لا يخطرني أحد قاصدة العنواں الذي
اعطاه لي..

كان المقدم (سمير البنا) شائنًا مهمومًا متعكر المزاج
أمامه عدة أقذاح من القهوة، ومن الواضح أنه مدحس ثقيل.
رآني فنظر لي في فضول وقال:

.. "أنت أصغر سنًا مما توقعت.."

قلت في شيء من التوتر:

.. "طالبة في كلية التجارة لا يمكن أن تكون في الخمسين
من العمر"

ابتسم في إرهاب، وطلب من أحد رجال الشرطة ان يأتي
بالصراف (محمد بسيوني)..

مرت لحظات طويلة وأنا أرشف النيمون الذي جلبوه
لي، ثم ظهر رجل في الثلاثين من عمره.. رجل نحيل يبدو
أنه يقضي أسوأ أوقاته.. ثمة صلح مبكر مع بعض الشيب..
أعتقد أنه شيء وراثي فلا يمكن أن يكون قد شب في هذه
الفترة القصيرة..

طلب منه الصبب أن يحلس أمامي، فمددت له يدي
مصافحه فمصافحها بارتياك..

بريء!..

بريء!.. هذا ما شعرت به منذ اللمسة الأولى.. لم يعد
لدي شك في هذا، لكن كيف أبرهن على ذلك؟ الأمر لا
يتجاوز ذلك الشعور الأنثوي على غرار والله العظيم
بريء!.. وهذا شيء لن تقبل به أية محكمة طبعاً..

ما سبب هذا الشعور الغريب الذي ينتابني؟.. كتفه
اليسرى من خلف؟.. لماذا أفكر في كتفه اليسرى من
الخلف؟..

كان الضابط يراقب ملامحي دون أن يرفع عينه، ثم بدأ
محادثة عبارة مع الصراف.. بالطبع لم يوجه له أي اتهام، لكنه
كن يعرف أن موقفه بالغ الحرج، لما انتهى من المحادثة سمح
له بأن ينتظر بعض الوقت، ثم استدار نحوي سائلاً

.. "ما رأيك؟"

.. "أشعر أنه بريء.."

قال في عدم رضا-

.. "توقعت أن تقول العكس، وأردت أن تخبريني
بتفاصيل أكثر.. مثل: أين ذهب المال؟.. لابد أن هناك شريك
قام بتقييده بهذا الشكل الصوري فمن هو؟.. أعتقد أن الطريقة
الوحيدة التي يمكن بها دخول مخزن سوق الخضار هو أن
تدخله على قدميك رجلان يمشيان معاً يدخلان ثم يخرج
واحد بعد أن قيد زميله. لا أتصور أن يدخله رجل يحملون
رجلاً مقيداً مكماً.."

قلت في إصرار:

.. "أنت طلبت انطباعي.."

.. "وانطباعك هذا وليد موهبتك أم هو انطباع أنثوي عام
وليد الرقة؟.."

.. "أعتقد أن موهبتي هي التي تكلمت.."

نهض معي إلى حيث مجموعة من الملفات التي تحوي صوراً
ووجوهً لنوي السوابق، وطلب مني أن أتفقدّها بحثاً عن شيء يثير
اهتمامي. هكذا أقلب الصور وجوه مرعبة تحمل قدراً
هائلاً من الشر.. لا شك في هذا كنت أشعر به وأرتجف..

ثم توقفت أمام وجه. رجل أسمر له وجه صلب
وشرب شرس.. قرأت الاسم المكتوب: (صلاح أبو هرجة)
وشهرته (كولونيب).. هذا الوجه له أهمية خاصة.. أيا متأكدة
من هذا بيقين.. هذا الرجل مهم..

نظرت في تساؤل إلى البقيب، فأمسك بالملف مهتماً
وقل:

“(صلاح أبو هرجة).. (كولونيا) مسجل خطر وقد قام
بأكثر من سطو مسلح، وسبب اسم الشهرة هو أنه مولع بالعطور
الرخيصة ويفرق نفسه بها.. طبعاً يستعمل أرخص وألعب الأنواع
مما يجعل له رائحة عطرية مقرزة. هو نموذج ممتاز لكن هذا
ليس كافياً للاشتباه به.. لم يذكر أحد حرفاً عنه”

قلت في حماس:

“-هل له علاقة بسبارة أجرة؟. هل له علاقة بسوق
الخضار؟.. هل ظهر عليه ثراء معاجن؟”

نظر لي للحظات، وبدأ مهتماً، هذا قلت:

“-هل يمكن أن تستدعي هذا الصراف مرة أخرى؟”
طلب من رجل الشرطة أن يسمح للصراف بالدخول،
فهمست له:

“-دعه ينزع سترته ويكشف عن كتفه اليسرى”

نظر لي في عدم فهم، ثم قال للصراف أن ينزع
سترته..

في تردد وخرج نزع الرجل سترته وهو يشعر بالكثير
من الحرج، خاصة أن فائلته الداخلية كانت مهلهلة تماماً.
رجل في غاية المقر يتحایل ليخفي حقيقته.

دنوت من كتف الرجل من خلف في حذر، وأشارت إلى

ثقب صغير أحمر في حجم النقطة التي في نهاية هذا السطر..
وسألت:

"ما هذا ثقب الصغير؟"

قال الصراف في غباء.

"ثقب؟.. أي ثقب؟"

نظر النقيب إلى الثقب بدوره وقال في صدم فهم:

"ماذا؟.. ربما بعوضة أو شيء مماثل؟"

قلت في حماس.

"هذا موضع دخول الإبرة التي حقنته بالمخدر بمجرد

أن جلس في سيارة الأجرة.. هناك من توارى في المقعد الخلفي

ثم برز ليفرس لإبرة في كتفه. نعم لا يوجد مخدر يُشم

ويسمح باختطاف شخص، لكن المحدثات التي تحقق تسمح

بهذا وأكثر.. لقد تم الأمر بسرعة حتى أنه عاب عن الوعي

قبر أن يعرف أنه حُقن، لكنه شم تلك الرائحة الغريبة

لحظة فقدان لرشده. لم تكن سوى رائحة من اعتدى عليه..

(أبو هرجة) أو (كولونيا).."

قال النقيب في دهشة:

"ولماذا ربطوه بقيود سهلة الفك؟"

"لأنه كان مخدراً ولم يبذل خطر.. أما عن دخوله إلى

مخزن سوق الحضار فالأمر سهل.. لقد وضعوه في صندوق

خشبي وحملوه أمام العيون.."

قال النقيب وهو يرفع سماعة الهاتف:

"سوف نحضر كولونيب.. ولو كنت في كلامك مرة من

الحقيقة فليسوف نعرف سرياً.. أما الآن فإني أشكرك

وسوف أعهد بسيارة تعيدك لدارك.. أعني تعيدك لأقرب

مكان من دارك"

هكذا عدت لداري..

استظرت كثيراً جداً تلك المكالمات، وفي الثامنة مساء

جاءت..

كان النقيب في غاية السرور.. قال لي:

..مبذ اقتراب كولونيا من مكتبي حتى أجفل الصراف
وقد تذكر الرائحة لتقوية.. هذه هي الرائحة التي ضمها عند
ركوب سيارة الأجرة. حاول كولونيا أن ينكر ثم أنهار عندما
تذكر بعض العاملين في سوق الخصر وجهه ورائحته كان له
قريب في المصرف أخبره برحلة الصراف الشهرية، وأخبره
بعادات الصراف الحذرة.. هكذا اتفق مع سائق أجرة مسن
قريب له أن يقوم معه بهذه العملية.. ويتأكد من أنه لا توجد
بيدات عن سيارة الأجرة يراها الراكب. عندما يظهر الصراف
على باب المصرف مع حقيبته، تدنو منه سيارة الأجرة وينزل
منها زبون.. هذا يقنع الصراف أن توقف السيارة عارض،
دعك من وجه السائق المسن لطيب.. هكذا يركب.. وعلى
الفور يهرز (كولوني) من الخلف ليدس المحقن في كتفه،
ويقوم الرجال بنقله إلى مكان قريب حيث يقومون بتقييده
ووضعه في صندوق خشبي.. كولونيا نكي جدًا، لذا حرص على
أن تكون القيود رخوة لا تقنع أحدًا. ثم يحمل كولونيا والرجل
لثالث الصندوق على سيارة نصف نقل إلى مخزن الخضار
القريب ويتخلص منه هناك. طبعًا اكتملت القصة بعلامات

ثراء واضحة لاحظها الجميع على (كولوني) مؤخرًا "
قلت في فرحة.

..الصراف بريء كم قلت هذا البائس لا يستحق
تهمة السرقة لتضاف لتعاسته"

..أشكرك على حل القضية.. توقعي مسي مكالمات
أخرى كثيرة.. يجب أن ادرك كذلك بأك محظوظة لأبك لا
تشمين رائحة عطر كولونيا المخيمة على مكتبي.. سوف
محتاج إلى شهر للتخلص منه، لكننا مدينون لها بالكثيرا"



أنا قلقة

أنا قلقة.

تقول لي أمي إنني غير طبيعية وإنني لن أتعبر أبداً..
أنهض.. أدخل الشرفة وأقف هناك أنظر إلى الليل الذي
بدأ يورخي سدوله. لعباءة الزرقاء التي تصير سوداء بعد قليل،
وأشعر بذلك لتقلص في أحشائي.. يخبرني بكل وضوح:
إنني قلقة .

أدخل المطبخ. أخرج علبة الجبن من الثلاجة، وأفتح
رغيفاً بالسكين وأعد لنفسي شطيرة أرخرفها ببعض شرائح
الخيار.. أرفع الشطيرة لفمي لكن شفتي تأبى أن تنفتح.. لو
انفتحت لما اسرلق الطعام لبلعومي... يمكنني أن أتخيل كل

تعاصيل عملية البلع العسيولوجية، وأعرف أنها مستحيلة
لأنني قلقة..

هكذا تجد الشطيرة طريقها لتوضع على رف الثلاجة
في طبق . سوف تلتهمها أختي على كل حال.. هي تأكل أي
شيء تجده أمامها في أية لحظة في أي مكان..

لقد خرج أخي الصغير منذ ساعة ليروور أحد
أصدقائه عملياً هو لم يتأخر، لكنني قلقة . أشعر بذلك التوتر
الغريب يحتاج أعصابي..
في النهاية رفعت سماعة الهاتف وطلبت صديقه.. هل
(رامي) عندكم؟

يقول صديقه في دهشة

..لم يأت بعد..

أضع سماعة الهاتف.. كنت أعرف أن هذا سيحدث.
ثمة شيء ما خطأ..
تقول أمي:

”ساعة واحدة.. الأمر لا يدعو لهذا القلق.. الصبية
هم آخر من يعرف معنى المواعيد أو يفهم قلق الكبار.. ليست
هذه المرة الأولى..“

أوسك أن أقول لها . لكنها المرة الأولى التي أشعر فيها
بهذا التوتر بصدده..
أنا قلقة..

أخرج للشرفة حيث صار الليل ليلاً مكتمل الأركان،
وأرقب مصابيح الشارع والمارة كلما رأيت صبياً في الشارع
وثب قلبي في فمي.. لو كنت أملك حدساً خاصاً فإنا لا أملك
بصر زرقاء اليمامة ولا أستطيع معرفة القادم من على هذا
البعد..

عدت لغرفته واتجهت إلى الخزانة التي نزعها وألقاها
إلقاء على الفرش.. مددت يدي وتحسسناها وأغمضت عيني.

خطر داهم! (رامي) في خطر داهم! . حاستي تعمل
بقوة.. لكن ما هو نوع الخطر؟

أعود لغرفة الجلوس حيث تجلس أمي وأحتي غير
مهتمتين بتابعان التلفزيون.. هما غير قلقتين على الإطلاق.. سوف
يعود (رامي) بعد ساعة أو ساعتين وينقلني لكثير من التوبيخ.. ي
ليتنني أملك بسلطتهما وسذاجتتهما! . يا ليتني فتاة عادية..

جلست إلى جهاز الهاتف واتصلت بعدة أرقام من أرقام
أصدقائه.. لا.. لم يره أحد هذه الليلة.. طلبت عدة مستشفيات
في حين.. هل وصلهم صبي جريح منذ ساعة؟.. هل وصلهم
صبي ميت؟..

قال الجميع: لا..

أين أنت يا رامي؟.. ماذا تفعل؟...

رفعت سماعة الهاتف مر جديد وطلبت النقيب (سمير
الينا) الذي صار صديقي منذ زمن، وقد علمته التجارب أن
يرد على مكالماتي في أي وقت. قال لي في دهشة.

” (هند) . لم أعتقد أن تبادري أنت بطليبي.. نحن نقع
في كارثة ونطلب رأيك وليس العكس..“

قلت بصوت محنوق بالبعاء:

- (رامي) أخي، إنه في ورطة.. أعرف هذا.. خرج ولم

يعد.."

"منذ متى؟"

"منذ ساعتين؟"

ساد صمت طويل.. ثم قل في ارتباك:

"ساعتين؟.. هل تتصورين أن أية جهة في العالم يمكن

أن تبحث عن شخص تعيب منذ ساعتين؟.. ليس بوسعك طلب

رأينا قبل مرور أربع وعشرين ساعة.."

قلت في عصبية

"ليس وأنا أشعر بهد الشعور اليقيني بأنه في خطر"

من جديد قل في ارتباك:

"سوف أبحث.. يمكنني الاتصال بالاستشفيات بشكل

غير رسمي و..."

"أنا فعلت ذلك.. الخطر الذي يتعرض له لا علاقة له

بالحوادث ولا الموت.."

ساد الصمت ثم قال لي:

- بصراحة لا أعرف كيف أساعدك في وقت مبكر

كهذا.. على كل حال سأرد على مكالمتك في أي وقت فلا

تترددي في طلب العون.."

وصعت السماعة مدركة يقيناً أن لمشكته مشكلتي.. لو

أراد أن أنظر الفترة القانونية فمن الوارد أن يجد نفسه أمام

جثة صبي..

هكذا هرعت إلى غرفة رامي، ومن جديد رحبت

أتحسس ثيابه الملقاة هب وهناك، ثم بحثت عن صورته.

وضعتها أمامي ورحت أصدق فيها.. هلم يا حاستي!.. لو لم

تظهري الآن فلا نفع لك.. لربما فكرت في التخلص منك جدياً

كما يفعل العربيون بمرضى الوسوس.. الجراحة النفسية.

فجأة بدأت أرى وجهها.. هذا رجل أسمر لبشرة له

ملاحع شرسة وعين قلمة . نواری الوجه وسط الصباب .
أسمع خرير ماء . هناك فلام . هناك فأر يجري.. أشعر
بالذعر والتوتر . أنا خائفة.. إذن رامي خائف جدًا.. رامي لا
يستطيع تحريك يديه.. هناك حبل..

تحسست رأسي..

يجب أن أكرر أكثر.. هناك لافتة تقول (صالة
الأبرياء).. نعم.. أراها.. تتلاشى ثم تعود..

رفعت سماعة الهاتف من جديد وطلبت النقيب
(سمير).. جاءني صوته متمللاً لأنه من الواضح أنني
مجنونة وسوف أحمر حياته جحيماً . قلت له في لهفة.

”رمي مخطوف.. إنه سجين في قبو مغمور بالمياه.

مقيد بالحبال وهو مذمور جدًا...”

”أه!”

قالها في عدم تصديق طبعاً فعدت أقول:

”هو جوار مكن يدعى (صالة الأبرياء).. أما متأكدة”

قال على الفور:

”لا يمكن أن يوجد مكن في العالم يدعى (صالة
الأبرياء).. حتى في المحكمة.. هذه هلوسة..”

بالمعل.. هذا اسم سخيف جدًا.. لكنني قرأته..

هنا قال.

”أعتقد أنك ترين هذه الأشياء مضطربة.. لحظة. هل
كان ما قرأته هو (صالون الأمراء)؟ ربما كان الأمر كذلك
لكن الإرسال الروحي كان مشوشاً “
قلت في لهفة.

”نعم.. يمكن أن يكون كذلك..”

”سوف أجري بعض الاتصالات وأعود لك”

جلست جوار الهاتف ألثهم أظفري.. الآن بدأت أمي
وأحتي تتساءلان عن سبب تأخر (رامي) . الأمر لذي لم
يحسر الأمر كثيراً. صار للقلق طول وعرض وارتفاع صار
مادياً..

جاء لهاتف من جديد لأتلب مقراً في الهواء وأرفع

لسماعة

ـ"ههـ... هناك حلاق بهذا الاسم فعلاً في الشارع
لمجاور لك. ههـك أمين شرطة يقف أمام بنايتكم الآن.
يمكنك الذهاب معه هناك.."

شكرته في لهمة، ورتديت ثيابي ثم هرعبت أتلب
لدرجات إلى الشارع، لأجد ذلك شرطي الأسمر قوي البنية
طيب الملامح يقف هناك وهو يحمل جهاز اللاسلكي
بانتظري مشيت معه إلى الشارع المجاور حيث رأيت
اللافتة (صالون الأمراء)..

وماذا بعد؟. هن يكون هذا مجرد تداع من عقلي
الباطل؟ من لوارد أنني رأيت للافتة مذات المرات من قبل
ولم ألاحظها لكنها خرجت نوعي الآن..

أمين الشرطة كذلك راح يبصر لي متبذلاً عن حظوي
لتأليبة..

جاء الجواب بصورة غير متوقعة..

من الزقاق المجاور للبقالة رأيت ذلك الرجل يخرج
جاريًا والرعب على وجهه. هذا رجل أسمر البشرة له ملامح
شرسة وعين تأليبة..

صرخت في أمين الشرطة.

ـ"هذا هو!.. أقبض عليه!"

لم ينتظر الرجل ليعهم بن انطلق يركض في لشارع ومن
خلفه انطلق أمين الشرطة.. خرج الناس من محلاتهم يراقبون
عير قاهمين..

صاح أمين الشرطة أن قبضوا عليه، بييم الرجل يثب
فوق صندوق موضوع أمام أحد المحلات، ههـ اصطدمت قدمه
بالصندوق وطار في الهواء ليسقط أرضاً..

هرع نحوه أمين الشرطة ووجه لوجهه ركلة ليطن
حماسه، ههـ تصايح أصحاب المحلات في غضب

”دعه!.. إنه أبله لا يدرك ما يفعله!“

عندما دنوت من الرجل فهمت.. إنه بالفعل متخلف

عملياً. زئغ العينين وللعاب يسير من قمه.. فقط راح يردد

وهو يمسح الدم عن شفثيه:

”حبيل.. حبيل..“

حبيل؟. أنا شعرت بحبيل في الرؤيا التي رأيتها. ماذا

يوجد في ذلك الزقاق الذي خرج منه؟

هرعت ومعي الأمين إلى هناك، وكان الظلام دامساً.

صاح أحدهم أن يجلبو ضوءاً ومن عند بائع فاكهة برز

(كلوب) مشتعل حملة أحدهم إلى الزقاق..

هناك عند أقدامنا كانت تلك البئر. يبدو أن بعضهم

كان يجري بعض الإصلاحات في بنية هنا ونترك هذه البئر

مفتوحة. ومن داخل البئر سمعت صوت الأنين المميز. صاح

أحدهم أن ارفعوا (الكلوب) أكثر. رفعة الصوء تتسع ونرى

ما بدا خـر لبئر إنه (رامي) على عمق ثلاثة أمتار ينظر

لنا بعينين دامعتين.. المكان ضيق جداً فلا يقدر على تحريك

ذراعيه إلا بصعوبة..

وجواره على الأرض ذلك الحبيل..

تعاون الرجال على إخراجـه فتعلق بعنقي يقبلني وقال

وهو يرتجف:

”سامحيني.. طاردت تلك القطعة الصغيرة لكنها

دخلت هذا، ولم أدر إلا وقدمي تنزلق لأسقط في حفرة مليئة

بالماء والفئران!.. صرخت كثيراً حتى سمعني رجل له عين

تالفة.. لقد رمى لي حبلاً..“

هكذا فهمت..

محتصنة رامي حتى لا يضيع ثانية خرجت إلى ذلك

البائس الذي جلس على الرصيف يتحسس شفثه الدامية.

لقد حاول أن يساعد أخـي لكن تفكيره المحدود لم يتيح له

سوى أن يلقي بحبل داخل الحفرة ولم يثبتـه بشيء. ويبدو

أنه خرج من الزقاق ليطلب العون عندما وجد رجل شرطة

يطرده فُصابه الذعر وجرى..

كان شكله مخيفاً وتعاونت فكرة الجب المظلم مع
الحبر في تثبيت فكرة الخطف في ذهني . أحياناً تكون
المعطيات صحيحة لكنها تقود لاستنتاجات خاطئة تماماً..

ومددت يدي للبائس أساعده على الهوص، وفي يده
دست حفصة من المال.. ما وجدته معي. صحيح أنه لم ينقذ
أخي بشكل مباشر لكنه اقترب من ذلك كثيراً..

وأنا لم أهد قلقة..



لقد شفيت

عرفت (عمر) في إحدى حفلات زفاف صديقتي..

عامّة أنا لا أطيق هذه الحفلات لأنني أشعر أنها
مهرجان عام للادعاء. الفتيان يتظاهرون بالوسامة ولظرف
والفتيات يتظاهرن بالفتنة، وهدف الجنسيتين هو اقتناص
عروس أو عريس.. لسبب ما يشعر الناس في الأفراح بالذعر
لأن دورهم لم يأت بعد، ولهذا يتصرفون بجنون للفت
الأنظار.. هناك فتيان يرقصان معاً للفت نظر البنات، وهناك
فتاة تنهض متظاهرة بالخجل لترقص أمام العروسين مع أن
أحدًا لم يجبرها على شيء..

هكذا أشعر بالعربة والارعاج، وأبتعد.. أبتعد.

فبعد لأجلس في ركن لقاعة على مقعد مستند للحائط. لغريبون يسمون هذا النمط الذي يشعر بالوحدة في الحفلات باسم (زهرة لحائط). صحيح أن هناك من سألني لي حامله طبقاً من (الجاتوه) أو مشروب غريباً وتصيح غير مصدقة.

“هند؟.. لماذا أنت هنا وحدك؟.. تعالي معنا”

أو ذلك الفتى الذي يعتقد أنه رائع، سوف يهرع نحوي حاملاً طبقاً عليه شطيرة ويصيح:

“آنسة هند.. يجب أن تذوقي شيئاً”

هذه المنفصات لا مفر منها، لكنهم في النهاية يقررون أنني مملة فعلاً وأن الجلوس معي معناه تضييع هذا الحفل الصاخب، من ثم يفر كل واحد منهم ليلاحق بدوامه الصخب.. أريد لفرار لكن كيف ومتى؟ لا بد أن أجد باقي صديقتي وسط هذا الرحام، لأن (مي) هي من ستوصلنا لبيوتنا في سيارتها والساعة قد تأخرت جداً.. لا بد أن أهين

العروسين بنفسني.. معنى هذا أنني سجيبة هنا حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً..

أختي (نرمين) تمر من أمامي فتصحك، ثم تعيب في الدوامة.. لا وقت عندها لهؤلاء المحايين الذين يعتقدون أنهم حساسون، لكنني رأيتها في تلك اللحظة فتنة بحق.. إنها جميلة فعلاً ولا أعرف كيف لم يخطر هذا ببالي من قبل؟

هنا وقعت عيني على (عمر) للمرة الأولى كان جالساً بدوره جوار الجدار وفي يده لعافة تبغ توشك على أن تنتهي. وكان يرمق ما يدور في نوع من اسخرية الصامتة لطريقة التي أعترف أنها راقت لي..

هنا شعرت بما يشعر به. أنت تعرف أنني أملك هذه الموهبة، وإن كنت لا أستطيع التحكم فيها ولا تطيعني في كل وقت. أعتقد أن اسمها Telempathy ولا تخلط بينها وبين الـ Telepathy من فضلك. حرف m الزائد ليس غلطاً مطبعية..

كان معجباً بي. شعرت بهذا بوضوح وإن لم أقدر على قراءة أفكاره قراءة للعواطف تختلف عن قراءة الأفكار.. قراءة الأفكار تجعلك تسمع في رأسك ما يفكر فيه الشخص، لكن قراءة العواطف تجعلك تشعر بما يشعر به. حر. بارد.. ضيق.. ملل.. إصجاب..

كن معجباً بي. هذا واضح..

ثم بدأت أرى أفكاره، فرأيت نفسي هناك جالسة جوار الجدار كقط صغير، جميلة جداً رقيقة جداً. لم أعرف من قبل أنني بهذه الروعة. أعرف أنني رقيقة شاعرة إلى حد الموت أحياناً، لكن لم أربي فائنة من قبل.. هذا فارق مهم.. أنا لست فائنة لكنه يراني كذلك وأنا أرى ما يراه.. ليس بالضرورة دقيقاً أو صحيحاً..

فجأة سمعت صوته يتردد في ذهني:

"تسمعين أفكاري.. أليس كذلك؟"

نظرت له في ذعر. هذا هو الآخر... ؟

عاد صوته يتردد من جديد:

"خمنت ذلك.. أنا وأنت تملك هذه القدرة. كلانا يرى

أفكار الآخر.. أليس كذلك؟"

وضحك فضحكت..

هكذا نهض متجهاً نحوي وجلس جوري على مقعد

قريب، وقال وهو يعقد ذراعيه على صدره:

"معذرة.. لم أمر بهذا الموقف سوى مرة واحدة في

حياتي.. حسبت أنني لن أقبل أبداً شخصاً يملك الإدراك

العائق للحواس.. إن هذا الطراز من البشر يميل للخصوصية

وعدم الاستعراضية، بالرغم أن كل إنسان في العالم تقريباً

يعتقد أنه شفاف ولديه قدرات خارقة. كن امرأة عرفتني في

حياتي تعتقد أنها تملك الحاسة السادسة، وكل رجل يقول

(ليس بيبي وبين السماء حجاب) لكن الحقيقة هي أن أحداً

لا يملك أي شيء على الإطلاق. يسرني أن ألقى أول واحدة

من هذا الطراز"

ثم استدرك فقال معتذراً:-

- "اسمي (عمر). من المفترض أن أخمن اسمك لكنني

عاجز عن ذلك.."

- "هند. لم أخمن اسمك أن أيضاً.. لكنني خمنت أنك

تمارس عملاً له علاقة بالدم.."

- "أنا طبيب فعلاً. نمت مصاص دماء. وأنت لك علاقة

قوية بالأرقام.. ربما الجداول؟"

- "أنا طالبة في كلية تجارة. كيف اكتسبت خبراتك؟"

- "حدث.. بقيت في سيارة تحت الماء لمدة ساعتين،

وذهبت عن الوعي.. مات أبي الذي كان يقود السيارة.. لما

أخرجوني أدركت أن نقص الأكسجين نبه خلايا نائمة في

ذهني.. فجأة صرت أمتلك الإدراك الفائق للحواس.. وأنت؟"

- "لا شيء.. ولدت بهذه الصورة، وأهلي لا يعرفون..

لو عرفوا، فلن يصدقوا.."

كنت أفكر في جسور. معنى هذا أننا نملك ذات

القدرة.. نحن طائران لنا ذات الشكر. هل يعني هذا شيئاً أو

يعني أننا لبعضنا؟.. الحب شعور غريب معقد، لكنه لا يولد

لمجرد أن هناك تماثلاً يراه العقل ولا يراه القلب. لو وجدت

واحداً يشبهني فأنا لن اضبط على زر لأحبه.. الحب يأتي من

دون دعوة ويرحل من دون أن يطرده أحد..

كان معجباً بي بشدة، وقد حكى لي لكثير عن حاسة

ال Telempathy هذه. كان مثقف وقد قال لي إن هذه

الحاسة تكون مفيدة أحياناً عندما يكون في خطر.. بعض من

تم تهديده بمسدس أو سلاح بقلوا لن يهددهم مشاعر الخوف

والتوجس التي يشعرون بها، لدرجة أنه خفض السلاح

وتركهم في سلام..

بعض الناس من مالكي هذه الحاسة يستطيعون أن

يجعلوا الآخرين يشعرون بالاشمئزاز أو التعب أو الاكتئاب..

معنى هذا أنها سلاح خطر..

انتهى الحفل فافترقنا، لكننا تبادلنا رقمي لهاتف

أعرف أن قدراته ليست مطلقة مثلي. لا يوجد شخص قدرته

مطلقة وإلا لصار أقوى رجس في العالم.. لهذا لا يستطيع أحدنا
تحمين هاتف الآخر..

في ليوم التالي كنت قد تناولت طعام الغداء.. وجبة
دسمة ثقيلة، لكنني بعد نصف ساعة شعرت بجوع شديد.. لا
أعرف السبب لأنني لم أكن نهما من قبل هكذا..

أعددت لنفسني وجبة خفيفة أمام نظرات أمي
لذهولة.. قالت لي:

- "خذ ر وإلا صرت عاجزة من اجتياز باب الشقة.."

ضحكت والتهمت الأرض في ثوان.. أشعر بأنني ممتلئة
بشدة لكنني جائعة..

أختي تمر من أمامي.. هذه الفتاة تزداد جمالاً برغم
أنها يجب أن تكون مرهقة بعد حفل أمس. قلت لها في خبث:

- "الهامم تزدد جمالاً.. يبدو أن الحفلات تجعلك

رائعة.."

قالت في خبث أكبر:

- "وأنت تجعلك الحفلات كالمصيبة! يكفي أن

تحصري حفلي زفاف حتى تلفظي نفسك الأخيرة!"

هنا دق جرس الهاتف. على الفور رأيته وشعرت به
قبل أن أرفع السماعة.. غريب هذا.. كن ما يمكن أن سصف
به الحب موجود لكنه ليس حباً.. إنه Telepathy ي
سادة

رفعت السماعة فجاء صوته الودود.

- "كيف حالك؟.. كيف حال شقيقتك؟"

- "كلنا بخير.. فقط أشعر بنعاس غريب.."

- "هذا مسل.. أنا أشعر بدات النعاس.. لقد انتهيت من

تناول الغداء في عيادتي لكن لا أجد في نفسي رغبة في استكمال
العمل"

تبادلنا بضع كلمات ووضعت السماعة.

نعاس . عداء . هنا فطنت إلى فكرة رهيبة : منذ قابلت هذا لرجل وعواطفي ليست هي عواطفي .. أنا امرأة لما يشعر هو به ! . هو كان جائعاً فشعرت بالجوع برغم أنني كنت قد غمرت المائدة حالاً .. أشعر بنعاس ولم أكن كذلك . ترى هل كان الملل الذي شعرت به أمس شعوري أنا أم شعوره هو؟
منذ هذه اللحظة صارت حياتي جحيماً .. أشعر بمقص فلا أدري إن كان هذا شعوري أنا أم أما أشعر بما يشعر به (عمر)؟ . أشعر بظماً فلا أعرف إن كنت ظمأمة أم عمر هو لظمان؟ ..

سؤا مهم : لو كنت أنا امرأة لشاعره ، فكيف أعرف أنه معجب بي حقاً؟ .. ربما كان هو كذلك امرأة لشاعري ، وكنت أنا معجبة بنفسي لا أكثر!

أخبرته بهذه التفصيل في مكالمة هاتفية ، فقال لي ضاحك

~ لا تكوني حمقاء هل ولد هذا الاتصال الروحي

فجأة؟ .. كنت أنا في العالم وكنت أنت في العالم ، فلماذا صرت على اتصال فجأة؟

~ لا أدري .. لكنني متأكدة مما أقول .. *

ساد الصمت ثم قال لي بعد فترة:

~ على كل حال أعتقد أن الوقت قد حان لأتكلم بصراحة وكلي أطلب ما أردت أن أطلبه في تلك الليلة ، لولا أن اكتشفت أنني لست الوحيد الذي يملك تلك الحاسة
توترت قلقاً وابتلعت ريقاً .. سوف يقولها إذن ..
قال بلهجة تقريرية:

~ أنا كما تعرفين طبيب من أسرة طيبة .. والدي متوف .. لا أكسب الكثير لكن وضعي في تحسن مستمر . فقط ينقصني أن يكون لكماحي هدف وقد وجدته ..

ازداد توتري . أشعر به متوتراً بدوره . يجب أن أتخذ قراراً مصيرياً كهذا ..

قال:

- "أسعدني أن ظهرت برقم الهاتف.. كل من يعرفك قال
إنك حكيمة ذكية وإن علي أن اعتمد عليك، وأن أكلّمك أنت
قبل أن أكلّم والدتك برغم سنك الصغيرة.. أصيف لهذا
موهبتك التي لا شك فيها.."

قلت وأنا انظر للسقف:

- "ماذا تريد قوله؟"

قال وهو يضغط على كلمته:

- "شقيقتك، لأنسة نرمين!.. إنها أكبر سنًا منك، لكنني
شعرت بأن بوسعي الكلام معك عنها.."

- "ماذا عنها؟"

- "ألم تفهمي بعد؟ أنا أطلب يد شقيقتك الكبرى
(نرمين)!"

شعرت بأنني على وشك السقوط أرضًا وتحاملت ليخرج
صوتي طبيعيًا.

- "أنت تطلب يد (نرمين) مني أنا؟"

- "عندما جئت لحص الزفاف كن هدي أن أراها عن
بعد. أكون حكيم بصدها، ثم عرفت أنك أحبب الصغرى
وجمعت بيننا حكاية التخاطر تلك، لذا قررت أن أعتمد عليك
لأنك أقرب لي وتفهميني أكثر من أي واحد آخر!"

هكذا أفهم!

لماذا كنت أرى نرمين جميلة بهذا الشكل في الفترة
الأخيرة؟. لأنني أرى ما يراه هو! . أما ما شعرت به من
عاطفة نحو نفسي فالسبب بسيط.. لأنني فعلاً أحب نفسي!
يا لك من أحمق! يا لك من أحمق!.. لم أحبك
لحظة، لكنني أشعر في هذا شيئًا من الإهانة.. كنت أعتقد أنني
لا أبالي بك، بينما كنت أنت لذي لا يبالي بي!

قلت له في برود:

- "من العريب أن تطلب رأي أحبتها الصغرى النبي ما
رألت طالبة.. يمكنك أن تطلب موعدًا مع والدتي.. هذا يبدو

أقرب للمنطق.. شكراً لاتصالك.. "

ووضعت السماعة..

وفي هذه المرة لم أشعر بخيبة أمل أو حرج أو أي

شيء..

الأيام القادمة سوف تثبت لي أنني تحررت من تأثيره
الروحاني وأن عواطفني هي عواطفني فعلاً.. لا بد أنني كنت
متعلقة به بشك ما حتى صرت مرآة لأحاسيسه.. أما الآن
فقد شفيت..

نعم.. لقد شفيت!



ما رأيك أنت؟

موسم الامتحانات..

في رأيي أن هذه العبارة ليست مصفاً ومصفاً إليه بل
هي مبتدأ وخبر!.. جملة مفيدة كاملة قائمة بذاتها ولا
تحتاج إلى إضافات.. لا تنس أني طالبة في كلية التجارة

موسم الامتحانات..

معنى هذا قدوم الربيع.. معنى هذا تغير حرارة
الجو.. معنى هذا ظهور التوت ودودة القز ورائحة الحقول
المحروثة وحبوب اللقاح في الجو.. معنى هذا التوتر والقلق
والمفص المتكرر.. معنى هذا الاستذكار حتى الفجر.. ثم النوم
حتى الطهر والاستيقاظ مع شعور قاتل بالذنب..

عندما أسمع أغنية شادية (الشمس بانّت من بعيد)
وأغنية أم كلثوم (الورد جميل) تتقلص أمعائي لأن هذه أعالي
الامتحانات كما أعرفها. غريب أن الامتحانات والربيع شيان
متلازمان..

كم تعرفون فإن موهبتي تتدخل أحيانًا، لكن هذا بلا
موعد ولا نسق محدد.. ولهذا السبب لم أشعر قط بالذنب
باعتباري أعرف أسئلة الامتحان قبل أن يبدأ . هذا ليس
بيدي على الإطلاق..

فجأة أقلب صفحات لكتاب، وفجأة يستقر ذلك اليقين
في أحشائي أن هذه الصفحات مهمة وخطرة . أحيانًا أرى
ورقة الامتحان والأسئلة عليها.. من حين لآخر يتضح أنني
كنت أخدع نفسي وأنه لا توجد علامة فارقة بين ما أراه
بفض الاستبصار وما ألقه بخيالي دون أن أعرف ذلك .

الخلاصة : أنا أستذكر كل شيء بجد . فإن أرادت
موهبتني أن تعمل فيها ورحبت، ومعنى هذا أنني سأدرس كل

شيء لكنني سأولى عناية خاصة للصفحات التي أشك فيها
بالذات..

في يوم الامتحان يمكنك أن تعرف ما ينتظرك..

الأولاد يكونون غير حليقي اللحى مبعثري الثياب
عيوبهم كلها إرهاق وتعب . الفتيت شحبات مرهقات، وإن
كن ممن يضعن المساحيق بكثرة فلا وقت لهذا اليوم . بهذا
تجدهن قبيحات أكثر من اللارم كما يحدث بصورة التلميذون
الملون عندما تصير أبيض وأسود..

الثياب غير مكوية . لا وقت للكعوب لعالية .
الأحذية كلها رياضية وعلى الأرض..

هكذا أقف على باب اللجنة، وأعيد مراجعة المذكرة
التي أحملها ثم أصعها على الكومة وسط كتب أخرى كثيرة
تمزقت وبدأ الإفراط في استعمالها واضحًا..

أجلس في مقعدي قبل البدء بنصف ساعة وأتو
المؤذنين وسورة العيل . ثم..

وجاءه أراه بوصوح تام . السؤال الأول . السؤال الثاني..

هذه هي الأسئلة لا داعي لأن أنهض لأراجعها لأنني أحفظها من ظهر قلب. فقط لبت حاستي تصدق! .
تقترب مني (نرمين) صديقتي، وتتف بجواري بسمه، ثم تميل علي لتهمس:

”السؤال الأول سيكون كذا.. السؤال الثاني سيكون عن كذا.. السؤال الثالث سيكون كذا..“
نظرت لها في دهشة.. هذا هو ما أفكر فيه بالصبط.
سألتها:

”كيف عرفت؟“
قلت وهي تنظر حولها:
”تسربت الأسئلة وهي مع غالبية الطلبة. فلا تصيحي الوقت لو كنت صبر ملة بهذه الأسئلة فلتسرعي . إن في الوقت متسعاً..“

وسرعان ما ابتعدت وهي تراجع وريقة في يدها..
جلست ساهمة بعض الوقت..

من الواضح طبعاً أنها تعرف الأسئلة فعلاً.. ما دمت أنا أعرفها بموهبتي فأنا أعرف أنها تعرف! . في حالتي يتعلق الأمر باستبصار لا يعرف أحد أنني أملكه، لكن في حالتها الأمر يتعلق بتسرب أسئلة واضح..

ماذا أفعل؟.. السياسة لأحكم أن أظن صامتة . سوف أجلب الصواعق على الجميع لو فعلت شيئاً، لكنني في الوقت ذاته لن أقبل هذا القرار من نفسي بسهولة..

مالك أنت يا فتاة وهذا؟.. أنت عرفت الأسئلة تلقائياً فلم تريد أن تحرمي الآخرين من الفرصة ذاتها؟ . الجواب بسيط هو أنني لم أسع لشيء، ولم أبحث عن لعش، وإنما حاستي الغامضة هي من فعل هذا . لم أخلف القانون بينما هم يخالفونه . وأنا أعرف أكثر من أي واحد من هؤلاء أن الأسئلة صحيحة وأنها تسربت فعلاً..

مشكلة ضمير!..

ظللت أفكر بضع دقائق أخرى، ثم نهضت شاردة. لو تكلمت فأب لو شية الخدنة. لو كنت في أحد أفلام السجون لدبر المسجين لي حدث مؤسف.. من الغريب أن قوانين الجماعة تصير لها بكلمة العليا ويصير المجرم هو من يحالفها.. عندما يرتب المسجين الهرب من السجن، فإن من يقشي السر خبث يستحق العقاب برغم أنه ينفذ القانون وواجبه كموطن..

لا أعرف كيف وجدت نفسي أمام باب عملاق عليه لافتة تقول (لعميد)..

دخلت في حذر.. فنظر لي السكرتير في رهبة.

-أفندم؟-

قلت له بصوت مرتبك إنني أريد مقابلة العميد.. الأمر جلي وعاجل. لم تبق سوى دقائق يتم خلالها توزيع الأوراق وعندها لن أقدر على إثبات شيء..

كنت في حال سيئة، وهذا جعله يهرع إلى الداخل.

بعد دقيقة عاد لي، وسمح لي بالدخول..

كان العميد جالساً على مكتبه صخماً مهيباً كعهدي به فقط كان يتسم في رفق فشجعتني هذا كثيراً.. طلب مني الجلوس فجلست.. كان يعرفني لأني من طالباته المتفوقات..

-أليس هذا موعد امتحانك يا هند؟-

أخرجت ورقة ويبدو مرتجلة كتبت عليها بعض النقاط وناولتها له، وقلت:

-سيدي.. هذه هي أسئلة لمدة التي ستوزع أوراق امتحانها بعد دقائق!-

تبدل وجهه تماماً وبهض في توتر وانتزع الورقة من يدي وقرأ الأسئلة، ثم نظر لي في حزم وقال:

-من قال هذا الكلام الفارغ؟-

-كل الطلبة معهم هذه الأسئلة.. لو كنت تشك في كلامي يا سيدي فلك أن تتحقق..-

اتجه إلى الخزانة المجاورة لمكتبه وفتحها، وأخرج
مظروف مغلق . كان أستاذ المادة يترك عينه من الامتحان في
مكتب العميد قبل الامتحان في تلك الأيام.

قرأ الأسئلة ثم قارنها بما في الورقة وبدأ عليه
التوتر.. كنت أعرف هذا.. لو كنت مخطئة لكان موقفي في
غاية السوء..

إلى الهاتف هرع فطلب ألا يتم توزيع الأسئلة ثم طلب
أستاذ المادة في مكتبه، وكان على وجهه ما يدل على خطورة
الموقف . ثم طلب بالهاتف رقمًا آخر . طلب أستاذًا آخر
للمادة..

عندما جاء الأستاذ الأخير طلب منه العميد أن يعد
امتحانًا سريعًا للطلبة ويكتبه هنا أمامه، ثم يقوم بتصويره
وتوزيعه على اللجنة..

جاء أستاذ المادة الأول مسرعًا وكان ما سمعه صادمًا..
لقد تسربت الأسئلة أي إنه المتهم الأول بهذا..

- "من قال هذا؟"

أشار العميد لي وقال:

- "هذه عرفت هذا وكن من مصلحتها أن تظل صامتة
لك صميرها انتصر لحسن حفظها.. ما ذكرته هي متطابق
تمامًا مع أسئلتك، وعليك أن تفسر لي هذا "

كان الأمر قد انتهى بالنسبة لي منذ اللحظة الأولى .
هذا الأستاذ بريء.. لا يعرف أي شيء عن الموضوع.. لقد كتب
الأسئلة وصورها وهو يحملها معه الآن عندما فوجئ بهذه
الكارثة..

قال العميد:

- "أين قمت بنسخ أوراق الامتحان؟"

كان الأستاذ يجفف عرقه، وبدأ موشكًا على فقدان
الوعي.. نهض من دون أن يرد واتص بالمطبعة طالبًا أن
يحضروا من يدعى (محمود).. العميد يريده..

بعد دقائق جاء (محمود) هذا منتع الوجه شحًا..

كان رجلاً في الخمسين شديد البداية محققن الوجه، يمكنك أن تخمن أنه سيموت بنوبة قلبية أو نزف مخ في أية لحظة..

قل العميد للرجل

- "أسئلة الامتحان تسربت.. ليس لدينا من نشك فيه سواكما.. أستاذ المادة أو من قام بنسخ الامتحان.. أحذكما فعل هذا وباع لأسئلة بثمن باهظ.. لكن كان على من اشتروا الأسئلة أن يظلوا صمتين... للأسف هم تكلموا بداعي التفاخر أو عوئاً لأصدقائهم.."

كنت أن أراقب (محمود) في هذا الوقت.. وعرفت من جديد أنه بريء.. إنه مذعور تمام لكنه شريف.. كلاهما شريف.. فمن فعل ذلك؟

هتف (محمود) موشكاً على البكاء:

- "عملية التصوير استغرقت نصف ساعة يا سيدي، ولم أترك الأوراق لحظة.. عداد الآلة يمكن أن.."

- "أنت تعرف أن هناك نسخاً إضافية يتم تصويرها

للاحتياط.. العدد لا يدل على شيء.."

هنا جاء دوري في الورطة، فقد قل لي العميد:

- "من الذي أعطاك الأسئلة يا هدد؟"

- "صديقة لي في نفس الدفعة.."

- "من هي؟"

احمر وجهي.. أما هذا فلا.. لم يخطر ببالي أن أورط (نرمين) في هذه القصة وهي التي كانت تتعامل بحسن نية. لكن العميد عاد يكرر:

- "من؟.. لا بد من أن أعرف مصدرها.."

- "ربما من صديقة أخرى.."

- "سوف نسأل تلك الأخرى.. وأخرى وأخرى.. سوف

ينتهي البحث عند طرف الخيط الآخر.. لو لم تتكلمي لاعتبرت متورطة في هذه القصة!"

كنت موشكة على البكاء، واحمر وجهي.. يبدو أنني

أخطأت فعلاً عندما أقدمت على هذه الخطوة مدفوعة بشجاعة
ملحمية . الأهم أن جميع الطلبة سيعرفون أنني تكلمت..
قانون السجون غير المكتوب . المافيا يطلقون على هذا اسم
(أومرتا) أي (مؤامرة نصمت) .. الويل لأول من يفشي
أسرارنا..

فجأة راح المنظر يتحول في ذهني مراراً كأنني موشكة
على الإصابة بذوبة صرعية..

ورقة أسئلة فوق آلة مستندات.. ورقة أسئلة فوق آلة
مستندات..

اسم يتردد بلا انقطاع (مصطفى بيومي) .. (مصطفى
بيومي) ..

فجأة هتفت بلا سيطرة على صوتي

.. "مصطفى بيومي.."

نظر لي العميد في دهشة وقال

.. "أحدث لأسئلة من مصطفى بيومي؟"

كدت أقول إنني لا أعرف لكنني خشيت أن يظن بعقلي
الظنون أو يحسبني أدعي البلاهة، هكذا لذت بالصمت. لكن
(محمود) الذي قام بالتصوير صاح

.. "مصطفى! .. عريب . لكن بالفعل.. هذا ممكن!"

.. "أي شيء ممكن؟"

اعترف (محمود) أنه كان يقوم بالتصوير وفجأة أصابه
نوار غريب مع تسارع في ضربات القلب.. غدر الحجرة
لبعض دقائق ليشم بعض الهواء النقي في الخارج. مصطفى
بيومي كان يجلس على باب الغرفة وقتها.. إنه العامل الذي
يحرس المكان بما فيه من أوراق مهمة.. بالفعل كان بوسعه أن
يهرع للداخل ويسرق واحدة من النسخ الموجودة على آلة نسخ
المستندات ثم يجلس في براءة بينما يعود محمود..

رفع العميد الساعية ليطلب أن يستدعوا له مصطفى
بيومي هذا.. جاء بعد دقيقة بلصبط، ولم يحتج إلى أسئلة أو
أي شيء لأنه انهار تماماً عندما وجد الجميع ينظر له في

حزم. انفجر لدمع من عينيه والمخاط من أنفه وهو يقول:

- "سأعترف. نعم.. سرقت نسخة من الأسئلة وبعتهها بمائة جنيه لطالب اسمه (رامي عبد النعم). هذا هو كل ما فعلته.. أقسم بالله!"

كان قدومه نجدة لي لأن العميد نسي سؤالي عن صديقتي.. لقد وجد الخيط الذي يبحث عنه.. نظر لي وللمرة الأولى منذ ربع ساعة شغعت اهتمامه على وجهه الصارم وقال:

- "شكراً يا هند.. لقد انتهت مهمتك هنا.."

ونظر إلى ساعته وهتف:

- "ربع ساعة من موعد الامتحان!.. سوف أعطيهم وقتاً إضافياً.. ولكن عليك العودة للجنة الآن لأنهم سيوزعون الأسئلة حالاً.."

عدت إلى لجنة شاعرة بخليط من الرضا عن النفس والارتباك و.. بعض القدم..

عندما تسلمت ورقة الأسئلة الجديدة التي تم إعدادها على عجل، كدت أصرخ.. أسئلة عسيرة حق لم تساعدني موهبتي على تخمين شيء منها..

ربما لو ظللت صامتة لكان الوضع أفضل، لكنني كنت سألوم نفسي للأبد.. ما رأيك أنت؟



احترسوا من تلك السيارة

احترسوا من تلك السيارة..

سيارة حديثة هي زرقاء اللون من طراز (تويوتا)..
على الزجاج ملصق خاص بأحد الأندية القاهرية الشهيرة..
هناك خدش عرضي طويل على الجانب الأيسر..
لو رأيت تلك السيارة فاحترس منها..

السائق يخفي عيبيه خلف نظارة سوداء عملاقة
وبلبس لأسود، مم يعطيه مظهرًا مفرغًا كأنه في فيلم
سينمائي أمريكي.. يدخل بقطعة.. لو رأيت هذا السائق
فاحترس منه..

سوف يميل عليك وأنت تمشين على قدميك ويعرض أن

يوصلك.. لو كنت فتاة محترمة ربها أهلها جيدًا فسوف
نذمرين وتجدين السير، أو تقظاهرين بأنك لا تسمعين، أو
تدخلين أول محل تقابلينه، أو تطلبين عور أحد المارة أو
رجل شرطة تجدينه بالمصادفة..

لكنك لو كنت فتاة مغامرة تقتنص الفرص فسوف
تركيين، وعندما تصيرين جواره سوف يطري جمالك وسوف
يقول لك إن الوقت ما زال يسمح بجلسة في مكان هدي مع
كوبين من عصير الليمون..

لو كنت فتاة مغامرة تقتنص الفرص فسوف تقبلين..
وعندها...؟

للأسف لا أعرف تلك الرؤيا التي تلاحقني نتهى
دومًا عند هذا الجزء، كأنها نهاية حلقة بوليسية مثيرة.
علي أن أنتظر الحلقة القادمة لأعرف.. فقط هذه الحلقة
التالية لا تعرض أبدًا..

لكنني أرى الرؤيا وأشعر بالخطر طيلة الوقت أعرف

أن شيئاً مروعاً سيحدث. النهاية معروفة وإن كنت لا أعرف
ما هي..

احترسوا من تلك السيارة..

احترسوا من سائقها..

في تلك الأيام كانت تلك الرؤيا تطاردني بإصرار
غريب، ولهذا نتيجة منطقية وحدة عندي: إنها حقيقية
أقلب صفحات الجريدة فأقرأ من تلك الفتاة أو تلك التي
(خرجت ولم تعد) مع رقم هاتف ووعد بمكافأة سخية.
أنحسب الصورة.. أغمض عيني محاولة أن أرى شيئاً لكسي لا
أرى سوى السيارة الزرقاء..

عندما تتكرر الرؤيا فهي على الأرجح حقيقية لأن
عقلي الباطن لن يخدعني هـ، نعد من المرات، وهكذا أوصي
أختي بأن تأخذ حذرهما ولا تتوقف عندما تبطن أية سيارة
جوارهما.. أوصي أخي وإن كنت لا أعتقد أن حظراً ما يتهدده..
أمضي حيتي من البيت إلى الكلية ومن الكلية إلى

البيت.. أصعب للمحاضرات وأحول أن أكون طالبة مجدة..

عندما أخرج من الكلية مع صديقتي أظن لنهاية
الشارع.. هذه السيارة زرقاء.. أليس كذلك؟ . هل تريئها يا
(يمنى)؟.. وأنت يا (مها)؟..

- ما هو طرازها؟ -

تقول (نشوى) باسمه.

- فوراً.. أأن تعرفي موديلات السيارات أهداً؟ -

مقرب من السيارة فأرى السيدة في منتصف العمر
خلف القود وأهداً قليلاً..

هذا المساء يختلف. أمي تقول لي إنه يختلف.. هناك
ضيف قادم لأمي. أمي تقول إنه لا يريد الانتظار حتى يعود
أبي من عمله في خليج السويس، لكن لا بد أن ينتظر.. لن
يعطيه كلمة.. سيكون خالك معنا، ولسوف نطلب مقابلة
أخرى لكن هذا لا يمنع من أن تتأنقي وتلبسي أفص ما
لديك..

أكره هذه اللقاءات التي تذكرني بشراء الماشية من
السوق.. لقد كبر حمارهم وهم يريدون أن يروجوه من حمارة
مندسبة هي أنا.. هو رأيي في الكلية كما يقول ورقته له جداً..
محاسب هو لكنه في أعلى السلم في مصرف شهير.. إنه في
الثلاثين وهذا يعني أن سنه مناسبة..

لا أريد.. لا أريد.. لكن خالي المهندس الشاب آت
خصيصاً لذلك.. هكذا أسلم نفسي لأمي تعد ثيابي وتمشط
شعري، وتتأكد من أن المساحيق بالكمية الكافية.. ليست
كثيفة فاتهم بالتبرج وليست قليلة فأبدو شاحبة موشكة على
الاحتضار كما أنا فعلاً..

الصالون على م يرام.. أخي ابتاع العصائر وهذا يعني
أننا سنقدم ثلاثة أنواع من المشروبات: شاي. عصير مانجو..
مياه غازية.. وفي وسط اللقاء هناك الجاتوه..

في الثامنة مساء يدق الباب وأسمع الترحيب وخالي
يقترده ووالدته إلى الصالون ثم اسمع أمي ترحب بهما.. ثم

أجد أنني أحمل الصبغة التي وصعت عليها أكواب العصير
الثقيلة، وأنا أتقدم مطرقة للأرض كي أرحب بالضييفين،
بينما دخان التبغ من سجائر خالي تجعل الرؤية ضبابية
وتحرق العيون..

- هذه هي هند.. -

أجلس بينما أمه تكرر (ما شاء الله).. أرفع عيني لأراه
للمرة الأولى.. هذا الوجه يبدو مألوفاً..

يقول كلاماً فارغاً.. الكل يقول كلاماً فارغاً ولن يدلي
أحد برأي قبل أن يعود أبي، لكن العريس متعجل لأنه
سيسافر قريباً ويريد رداً مقنعاً.. يعني قراءة فاتحة وموافقة
مبدئية، وسوف يعود للخطبة عما قريب.. لكننا لا يمكن أن
نقرأ الفاتحة وأبي مسافر..

تتمهي الجلسة المنيئة بالود وينصرف لصيفر..
مهندبان رقيقان ويبدو أنهما من أسرة طيبة فعلاً..

تناديني أحتي كدأب الأخوات كي نختلس النظر إلى

المتى وأمه من الشرفة. نقف هناك متواريتين في الظلام
خلف قطع الغسير المعلقة، ونتبادل همسات أثوية مرحة..

يأتي خالي ليقف معنا.. ترى العريس وأمه يتقدمان
نحو سيارة تقف أمام بيتنا ويفتح لها الباب الأيمن، ثم يدور
ليجلس خلف مجلة القيدة.. سيارة زرقاء اللون..

يقول خالي وهو يضع ذراعاً على كتف كل واحدة منا:
"(تويوتا) حديثة.. تشبه التي كانت عندي
وبعتها.."

هنا تصلبت تحت ذراعه.. تويوتا زرقاء؟.. أنت
مجنونة يا فتاة.. لا داعي للهستيريا.. إن حاستي تعمل لكن
بطريقة غامضة.. لربما كنت هذه الرؤى تعني أن عريساً
بهذه المواصفات سيتقدم لي..

يقول خالي:

"بصراحة.. عريس ممتاز.. أنا سأقفل بابيك وأخبره
بأن يقدم موعد إجازته.. أكره أن تضيع هذه الفرصة.."

كل شيء جميل فيما عد، أن أحداً لم يسألني عن رأيي..
كلهم قرروا ووافقوا وأعدوا بينم أنا التي ستعيش باقي
حياتها مع هذا الرجل لم يسألوها عن رأيها.. لن أدهش لو
قالوا لي عداً إنني صرت زوجته.. المشكلة أن خالي متحمس
له جداً..

عد الظهر أغادر الكلية.. أمشي في لشرع الطويل
المنحدر وحدي، وهنا أشعر بسيارة تمشي بقربي.. سيارة
تويوتا زرقاء..

أنظر لراكبها فأجده (عريس الغفلة) هذا، لكن منظره
تغير عن أمس.. نظارة سوداء تخفي أكثر وجهه.. إنه هوا..
لا شك في هذا ولهذا بدا لي مألوفاً أمس..

"آنسة هند.. لو سمحت لي ببعض الكلام.."
قلت دون أن أنظر له..

"كل شيء قيل أمس على ما أعتقد.."

"لا.. ليس كل شيء.. أنت تعرفينني وأن لست غريباً

اليوم.. أرجو أن تركبني.."

قلت في غموض:

"الوقت يسمح بجلسة في مكان هادئ مع كوبين من

عصير الليمون.. أليس كذلك؟"

قال في ضياء:

"بلى.. طبعاً.. لكن لم أعرف أنك تحبين الليمون!"

كان يكمل عبارته عندما صرت سيارة الأجرة تلك أمامي فستوقفتها وسرعان ما وثبتت إلى الداخل . وابتعدت بينما العريس ما زال يكمر كلامه على الأرجح كنت غير مرتاحة له لأنه عريس صالونات ثم غدت أكثر رغبة لأن سيارته تويوتا زرقاء.. الآن أنا مرتاحة بالكامل لأنه يصح عوينات سوداء ولأنه يدعو الفتيات للركوب.

في اليوم التالي في ليلية تدنو مني صديقتي (يمنى) .

تجدبني من دراعي لتتكلّم معي على انفراد.. (يمنى) فتاة

بارعة الحسّن يمكنها أن تلوي أعناق الرجال في كل مكان

وتشعرهم بعدم الراحة.. أمامها ومعها يتحولون إلى أطفال .

لكن مشكلتها هي أنها نعرف كم هي حسناء، ولهذا تكره أن

تفوت فرصة.. تجرب كل شيء.. تخاطر.. تنهور أملها

أنها ستجد ما هو أفضل من زميلاتهما جميعاً..

تقول لي (يمنى):

"بصراحة.. رأيتك أمس تكلمين رجلاً في سيارة

تويوتا زرقاء.. سررت لما رأيتك تركته وقررت. لم تركبني

معه.."

"وهل سمعت من قبل أنني أركب سيارة رجل ليس

زوجي ولا أبي ولا أخي ولا خالي؟"

"لا.. لكنني ركبت هذه لسيارة من قبل.. كن شطب

وسيمًا وقد خطر لي أن ألهو قليلاً، لكنه كان وقحاً.. ما إن

ركبت معه السيارة حتى تمادى من ثم فتحت الباب

وجريت.. أعتمد أنه الشاب ذاته ومن الحكمة أن تبتعدي عنه

نهائياً "

كان هذا لتحذير كافيًا . إذن هو لا يدبح الفتيات
وينخلص من جثثهن، لكنه (يتحدى) .. وهذا أسوأ في رأيي ..
لا أذكر كم مرة أغدتني حاستي تلك من ملائكة يخفون ذئابًا
تحت جلودهم، لكني مدينة لها بقوة ..

شكرت (يمنى) كثيرًا وواصلت مطبعة دروس اليوم ..
أعرف أنني سأتصل بخالي وأخبره ان ينسى الموضوع تمامًا ..
لو أصر فلسوف أخبره بالحقيقة ..

عند الظهيرة خرجت مع (يمنى) من الكلية .. كنا
نمشي في ذلك الشارع الضيق عندما سمعت صوتًا مألوفًا
يناديني .. لم تتوقف يمنى وواصلت السير ..

نظرت لأجد خالي يجلس في تلك السيارة اللعينة التي
يقودها (مريس الغفلة) وهو يطل من الفأدة ..

.. "لقد جننا كي نوصلك يا (هند) .. هي فرصة كي
نرحمك من المواصلات .. أستاذ (كمال) تطوع مشكورًا، وهي
فرصة ممتازة لتبادل الحديث .. هتي صديقتك معك .. "

إن هذا كثير جدًا . فعلاً هو كثير .. قلت في كبرياء
وجفاء ..

.. "لن أركب هذه السيارة أبدًا .."

وواصلت المشي فأوقف (كمال) هذا السيارة وترجل
خالي ليلحق بي .. ماذا هناك ؟ . قلت في عصبية إنني سأشرح
له كل شيء على الهاتف عندما أعود للبيت لكنني لن أركب
هذه السيارة أبدًا ..

وتركته في شيء من الوقاحة ولحقت ب (يمنى) فلا بد
أن الرجلين ظلا يضربان كفاً بكف ..

.. "أحسنت صنعًا .."

قالتها (يمنى) في حزم .. ثم أضافت:

.. "إنه هوا .. وقع مدحط مغرور . لن أسه أبدًا .. كان
يلبس نظارة سوداء وثيابًا سوداء كأنه في فيلم عصيات
أمريكي .."

.. وهذا شأنه اليوم.."

.. لا . لكنني لن أنسى ملامحه.. كما لا أعرف لماذا لا

يقود السيارة بنفسه؟"

توقفت متصلة وسألته

.. "عمن تتكلمين بالضبط؟"

قلت في ملل.

.. عن ذلك النوغد الذي قرحل من السيارة وراح يحاول

إقناعك بشيء.. لو أصر لاستدعيت الشرطة أو استغثت

بالمارة!"

يمنى. هذا الرجل كان خالي!.. لم يكن (عريس

الغفلة) هو المتهم إذن..

ثم بدأت أتذكر.. لماذا لا أرى ذلك الملقق على الرجاء

ولا ذلك الخدش على الجانب الأيسر؟.. هذه ليست السيارة

التي أراها في كوابيسي عندما عدت للبيت اتصلت بخالي

وقبل أن يبدأ في لومي على الإحراج الذي سببته له سألته:

.. "هل السيارة التويوتا التي بعثها كنت مخدوشة من

جانبها الأيسر؟.. وهل كنت عضواً في ناد رياضي شهير

ووضعت الملقق على الرجاء؟"

بدت الدهشة في صوته وقال:

.. "سؤال غريب . لكن هذا صحيح.."

.. "ولماذا بعثت السيارة؟"

.. "ربما.. هو حادث مروع كد يقضي علي.. لقد تورطت

وارتكبت أخطاء كثيرة مع هذه السيارة، لذا شعرت بأنها

دمسة وأن هذا الحادث إنذار سماوي لي.. لذا بعثت بثمن

بخس!"

لم يشرح أكثر لكنني فهمت الباقي..

خالي الشاب كان يعيث وكر يعرض على الفتيات

توصيلهن، وكان يتمادى كثيراً كما حدث مع (يمنى). فلما

جريمة ربع كاملة

(سليمان) يعاني مشاكل مادية جمّة..

كلنا هذا الرجل على كل حال.. الحيلة تزداد تعقيداً
والمصاريف مرهقة والغلاء فاحش.. لكن بالتأكيد لم يبلغ بئ
الحال هذه الدرجة من السوء.. لقد بلغ (سليمان) المرحلة
التي يدخلون فيها غرفة المكتب ليكتبوا مذكرة ودع ثم
يخرجوا المسدس ليفجروا رؤوسهم.. المشكلة هنا ان (سليمان)
ليست لديه غرفة مكتب ولا يقدر على شراء مسدس

بالفعل هو قد دخل البورصة، ولأنه يعرف حظه جيداً
كان يعرف منذ اللحظة الأولى أنه سيخسر.. إذن لماذا دخل؟

وقع له ذلك لحادث شعر بأن السيارة مشنومة ومدمسة..
باعها وقرر أن يعود لجدة الصواب..

حاستي مزجت بين عريس الغفلة الذي أخشاه كثيراً
وبين سيارة خالي لتخلق من هذا صورة مربكة. سيارة خالي
يقودها رجل له ملامح كمال..

احترسوا من تلك السيارة..

إن من يقودها عريس لا أحبه ولا أشعر بأي ميل له،
برغم أنه بريء كما هو واضح.. من الغريب أن خالي ليس
ملكاً كما كنت أتصور..

لن أتزوج زوج صالونات أهدا..

الليلة سوف أقول (لا) واضحة صريحة مدوية، شاء
من شاء وأبى من أبى.

لأن المرء يعتقد أن السيناريو قد لا يتكرر في كل مرة..

هكذا وجد أنه معدم بالمعنى الحرفي للكلمة.. معدم ومن الوارد أن يجوع كذلك..

كان (سليمان) يعيش وحده من الباحية الزوجية، فهو سيئ الخلق عصبي لا تستطيع روجة أن تعاشره طويلاً.. لهذا طلق زوجته قبل أن ينجب منها..

لكن لم يكر وحده.. هناك في الغرفة الكئيبة ذات الأثاث القديم التي تفوح في هوائها رائحة (مرهم النمر) المعتدلة لتخفيف الآلام الروماتيزمية هناك في الضوء الخافت لكئيب.. هناك في نحر الخانق.. هناك في الفراش غير المرتب لذي يمكن أن يجلب الأرق للموتى.. هناك جوار الكومود الذي يتوسطه الكوب الذي تسبح فيه لأسنان الصناعية..

هناك في ذلك الفراش يرقد عمه..

من الغريب أن يكون أنيسه الوحيد في العالم هو عمه، لكن أبه أوصاه به كثيراً، قبل الموت لأن العجوز يعيش بلا

سند ولا ولد.. صحيح أن أباه مات قبل العم لكن وصيته ظلت حية..

هناك شيء آخر مهم هو أن العجوز ثري جداً، وهذا يعني أن حسن معاملته قد يجعله يوصي بكر ماله لسليمان.. هذا ما حدث فعلاً..

العجوز هو الذي ينفق على البيت كذلك.. في بداية كل شهر يذهب مع (سليمان) إلى المصرف ليسحب بعض المال ويعطيه إياه.. معظم هذا المال ينفق على لدوء طبعا .

لكن هذا يدلك على شيء مهم آخر هو أن العم لعجوز بصحة ممتازة.. أمراض الشيخوخة كلها عنده لكن بشكر عام لا يعني أن حياته مهددة بأي شكل.. تسعون عاماً وهو ما زال قادراً على الخروج وحده أو دخول الحمام أو قراءة الجريدة..

التسلية الوحيدة التي اعتادها سليمان هي صوت السعال والبصاق القادم من غرفة النوم، أو ضحكة عابرة على مشهد في مسلسل تلفزيوني .

بالطبع لم يجسر قط على إبداء أي تذمر.. بعد عشرة أعوام صار العجوز جرأً من أتاك البيت كالجدران . لكنه لم ينس قط أن العجوز عصبي سريع الغضب، وهو بصحة جيدة تسمح له بأن يطلب المحامي ليغير وصيته..

لم تصج الفكرة في ذهن (سليمان) إلا بعد خسارته في البورصة.. قرأ (الجريمة والعقاب) لدستوفسكي فأثارت اهتمامه شخصية العجوز التي لا نفع منها على الإطلاق.. لعجوز التي لن ينتقدها أحد لو ماتت، وهي تشكل العقبة الرئيسية أمام البطل كي يشق طريقه في الحياة. ماذا فعل البطل؟.. قتلها..

يجب أن يموت عمه.. حين الوقت لذلك. لكن كيف؟..

هناك الموت الذي يبدو حادثاً.. والموت الذي يبدو انتحاراً.. والموت الذي يبدو شيخوخة.. والموت الذي يبدو قتلًا..

الموت الذي يبدو انتحاراً لن يقع أحداً ولنسوف ينتهي به الأمر إلى المشقة.. أنت تحتاج إلى أدوية هضم كثيرة كي تهضم فكرة أن عجوزاً في التسعين ينتحر . الموت الذي يبدو شيخوخة مفر، لكن العجوز لا يتعاطى أي دواء بشكل منتظم بحيث تخفي الزجاجة أو تلقي الأقراص في البالوعة. سليمان لا يملك أية خبرة طبية ولا يعرف كيف يموت العجوز وعليه علامات النوبات القلبية.. الموت الذي يبدو قتلًا ممتاز، لكنه يعني أن تستاجر قاتلاً محترفاً وتقععه بأن يترك أكراماً توهي بالسرقة مع العصف. هذا القاتل نقطة ضعفك لأن هؤلاء الحمقى يقيمون في قبضة الشرطة دائماً ويتكلمون.. لو لم يقيموا في قبضة الشرطة فهم يحاولون ابتزازك..

إنه هو الموت الذي يبدو حادثاً..

دخل على عمه فوجده يبلوك طعام العشاء في الفراش أمام التلفزيون.. نظر له وقد شعر بوجوده وقال وهو يشير للتلفزيون.

“(ليلي) لا تعرف أنه تزوج أخرى وأنه يعيش معها
في الاسكندرية”

نظر له (سليمان) في غيظه . رائق البال إلى هذا
الحد؟؟.. من يهتم بهذه المسلمات السخيفة؟.. كان الجبن
يحدث على جنبه فم العجوز وهو يتكلم فشمع (سليمان)
بشمزأز.. ربما كان القتل خدمة للبشرية كذلك..
كان يفكر بسرعة..

يعرف أن العجوز يدخل الحمام مرة واحدة عند صلاة
الفجر.. يتوضأ ثم يعود لغرفته.. هذه رحلة تستغرق طبعاً مع
رشقة الرجل ومرونته نصف الساعة..

هكذا عندما صارت الساعة الواحدة صباحاً، هرع إلى
لصالة.. “ولاً علاج المنصهر ليقطع الكهرباء عن الحمام فقط..
عد للحمام.. هناك ذلك القابس القريب من الأرضية وهو
قابس قديم متآكل . مد يده واستعمل المفك ليخرج سلكاً انتقاه
بعناية وجعله يلمس لأرض.. حرص على أن يوحى المنظر

بالإهمال كأن القابس كان تالفاً منذ زمن بعيد..

ثم اتجه إلى الحوض فملاً الدلو مرتين من المعطس
وسكب محتواه على البلاط الرلق.. صار الحمام الآن عارفاً في
بركة صغيرة سوف يتسرب بعضها في لبالوعة لكنه سيظل
مبلاً..

خارج الحمام يوجد ذلك الخف المطاطي الذي يستعمله
عمه عند دخول الحمام، كي لا يبتس خفه الآخر. مد يده
وعالج الخف كي يترك في قاعه الملامس للأرض فتحة
صغيرة..

هكذا وقد انتهى كل شيء عاد إلى لوحة المنصهرات
فأعاد الكهرباء إلى الحمام.. عليه ألا ينسى ما فعله وإلا ذاق
ذات السم الذي يسهر في إعداد..

كان التوتر شديداً لذا ابتلع قرصين منومين وغطى
رأسه بالوسادة في حجراته وانتظر . يعرف ما سيحدث..
سينهض العجوز ساعة صلاة الفجر . سيضع الخف في قدميه

ويدخل الحمام.. طبعاً ستغلق المياه على الأرض الدائرة
وتسري الكهرباء في جسده، وتسوف يسقط أرضاً ميتاً
بالطبع.. حدث آخر نجم عن الإهمال. أيام من الحزن ثم
الميراث.. الميراث الهائل له وحده...

يغطي رأسه بالوسادة ويحاول أن ينام..

في السابعة صباحاً نهض من الفراش ناسياً كل شيء،
واتجه للحمام..

هنا فقط رأى جثة لعجوز المتصلة على الأرض وتذكر
كس شيء فعله قبل النوم. غريب هذا!.. لا يصدق أنه فعلها..
ربما لو فكر في الأمر مرتين أو انتظر حتى الصباح لعدل عن
هذه الفكرة، لكن العجلة قد دارت والرصاصة انطلقت ولم يعد
من مدد من الاستمرار..

اتجه للمصهر وانتزعه ليفصل الكهرباء عن الحمام..

كنت السابعة والنصف عندما طلب الإسعاف

والشرطة..

وفي التاسعة اتصل بي الطبيب (سمير البغا) الذي يطلب
رأبي في كل شيء، والذي عرفته عن طريق الطبيب النفسي
د. (محمود).. حكى القصة وقال لي إنه راغب في أخذ رأبي..
قال.

"القصة تبدو واضحة يا هند. حدث آخر ناجم عن
الإهمال كما يحدث كثيراً في مصر.."

"هذا مؤسف لكن لا نور لي إذن"

"أشعر بأن الأمر غريب.. صدفة جعلت السلك يتدلى
وصدفة جعلت الخف مثقوباً وصدفة أغرقت الحمام بالماء.. ألا
يبدو هذا مريباً؟"

فكرت في الأمر وبدأ لي على شيء من الصواب..

هكذا تجدوني أقف في الشقة التي كنت مسرح
الحادثة.. طبعاً جثة الفقيد مغطاة.. لم أعد أطيق رؤية المزيد
من الموتى..

(سليمان) يجلس وهو يعطي وجهه بكفيه باكياً أو
مصدوماً..

يرفع رأسه ليقول للنقيب:

- "لن أسمح نفسي ما حييت على أمشي تركت هذا
السلك المتدلي . أنا أطلب رسمياً توجيه تهمة الإهمال لي .. "

قار النقيب متلعفلاً وهو غير مقتنع بهذا الاستشهاد

المسرحي:

- "لا أعتقد أن قضياً يمكن أن يدينك"

كنت أن أجوب لشقة وأتشمم الجو بحذر، ثم أمسكت
بالخف المثقوب وتفحصت مكان الثقب.. بعد ثوان عدت
للقب وقلت:

- "لأمر واضح تماماً. كل شيء يشي بأنه فعلها عمداً..
كس شيء. أشعر بالشر في كس مكان.. ثم إن هذا الثقب في
الخف.. لا يمكن أن ينجم عن بلى أو قدم.. الخف كله سليم
وهذا ثقب واضح سميك في القاع.. لقد تم عمله عمداً.."

قال لي همساً:

- "نعم.. أشعر بهذا.. لكن لا يوجد إثبات برغم هذا.."

ربما العم العجور هو الذي تقب الخف بنفسه بسبب ما .
على كل حال كنت أرغب فيمن يؤكد لي ظنوني أما البرهنة
عليها فأمر يخصني.."

عدت أسأل:

- "وكل هذا البتل في الحمام. تذكر أنه موجود قبل أن
يتوضأ الشيخ.. فمن أين جاء؟"

قال النقيب:

- "فكرنا في هذا.. (سليمان) يزعم أنه أخذ حماماً في
الثالثة صباحاً وهو ليس بارعاً في تجفيف الماء بعد
الاستحمام.."

- "ولمّا لم يتعرض للصعق بالكهرباء بدوره؟ . لقد كان
يستحم كما يقول وبالطبع كان حافي القدمين"

- "ربما لأن الحمام لم يكن مبللاً بما يكفي. أو ربما
هناك فأر شد السلك أكثر بحيث لامس الأرض"

- "هناك آثار عيث في القابس.. ألم تلاحظ هذا؟"

- "يقول (سليمان) به حاول إصلاح القابس قبل هذا

بيومين.. وقش"

رحت أجوب المكان وأفكر.. بالفعل كل شيء مريب،

لكن لا يمكن إثباته لأن المحاكم تتعامل مع الحقائق لا
الظنون..

هل يمكن القول إن هذا الرجل قد ارتكب الجريمة

الكاملة، وبه فعلاً سينعم بثروة عمه القتل؟.. مستحيل..

ولا فلا نفع لوهبتي هذه على الإطلاق..

دخلت لحمام ونظرت إلى المعطس..

كان مليئاً بالماء إلى نصفه..

عدت إلى لصالة وهمست في أذن النقيب طالبة منه أن

يوجه لسؤال فلا صفة لي هنا.. هكذا سأل الرجل.

- "لماذا ملأت المعطس بعد ما استحمت؟"

قال مصطفى في شيء من الارتباك:

- "لا يمكنك أن تضمن انقطاع الماء هنا.. لابد من تخزين

ماء احتياطي كل ليلة "

هنا نسيت نفسي فصحت في فرج:

- "وجدتها! "

وجريت إلى الشقة المجاورة حيث كان الجيران

المدعورون يقعون على الباب، فسألتهم في مرح أثار دهشتهم

- "هل كانت المياه على ما يرام البارحة؟"

قالت امرأة بديعة تربط شعرها بمنديل أحمر لامع

- "لم تكن هناك نقطة طيلة الليل يا حبيبتي.."

عدت إلى الداخل وصحت في اسقيب.

- "لم تكن هناك نقطة ماء طيلة الليل!.. اشبه كن

ينوي أن يتوضأ من الماء في المعطس يصبه على نفسه صب.. من

أين أتى الماء الذي أغرق الأرضية؟.. هناك من سكب وهو ليس

يمكنني بسهولة

يمكنني بسهولة أن أرى الشاهد..

هناك قرب مدينة (.....) مدخل قرية على اليمين..
هناك طريق ترابي غير ممهد، وهو يمر أولاً بقنطرة صغيرة
ثم طريق وعر للغاية . هناك طحونة قديمة مهجورة يقضي
جوارها كلب أجرب مريض.. ثم ذلك المدخل الضيق بين
بيتين من الطين الجاف..

هناك يمكنك أن ترى الجثة وقد تمت تعطيتها
بالقش، لكن الريح سوف تذروه قريب جداً.. لن يطول الأمر
قبل أن تنكشف للعموم وحتى لو لم يحدث هذا فلن سوف
تجدها الذئب أو الكلاب الضالة..

العجوز قطعاً فهو لم يجد الوقت الكافي لذلك.. سليمان لم
يستحم وهذه أول كذبة.. لديك ماء صبه (سليمان) على
الأرض، ولديك سلك في وضع غير طبيعي، ولديك ثقب في
خف لا يمكن أن يكون قد نجم عن فرط الاستعمال، ولديك
دافع قوي للقتل.. باحتصار: لديك جريمة مكتملة الأركان..

نظر لي في حماس وتمعنت مينا..

ونظرت معاً نحو (سليمان) الذي لم يسمع هذه
المحادثة.. كن جالساً على الأريكة متظاهراً بالنأثر، يتصفح
بعضين لا تريان صفحات نسخة مهترئة من رواية (الجريمة
والعقاب)..

لماذا هذه لرواية بالذات؟



يمكنني بسهولة أن أرى هذا كله..

هـ هي دي مدم (عفاف) تنظر لي منظره ما سأقول.
هـ هو ذا أخوه لأستاذ (مصطفى) ينظر ما ساره . إيهما
متوتران يشربن الشاي لكفتي أعرف أنهما يتعذبان في
بتداعه كأنه حمض الهيدروكلوريك المركز . لهذا يضعان
الكوبين جنباً فلا يرفعانهم ، لا كلما ألحت أمي..

لقد كن يوماً عديداً وفي المساء اتصل بي البقيع (سمير
لينا).. إذن هم بحاجة إلى حستني في مهمة جديدة . قال لي
إنهما قد مان..

قلت في عصبية:

.. "أنا أحب مساعدة الناس لكنني أكره أن أعامل
كعرافة أو واحدة من المشعوذين الذين سراهم في السينما..
هناك كنز مدفون تحت المقبرة ونريد عوبك كي نجده، ولك
10٪ من قيمته.. الخ.."

قال في لهجة أقرب للتوسل:

.. "أعتقد أن هذا العرض يكون رائعاً.. لكن للأسف أنا

لا أعد بشيء سوى الثوب ومطعة أن تكوني مفيدة.. فعلاً نحن
بحاجة لهذا اللقاء.. أرجوك.."

هكذا يتوتر كل شيء في البيت.. تسرع أمي بتنظيف
الصالون والمدخل وترسل أخي لشراء بعض المياه الغازية
والجاتوه. لا أحد يزورنا تقريباً أثناء سفر أمي، لذا تغدو هذه
الزيارات مزعجة فعلاً..

لكننا شعرنا بالراحة ولهدوء عندما ظهر الصيف..
السيدة محجبة وقور يبدو القلق على وجهها بشكل يدفع
للشفقة، والرجل يشبهها تماماً.. مستحسب أن يكون زوجها
بل هو غالباً أخوها..

صافحتها وقبلتها على خدها من دون سابق معرفة،
لكنني شعرت فعلاً بحنان عارم يغمرني نحوها..

لحظة تقبيلها رأيت المشهد بوضوح تام :

جثة مهشمة الرأس ملقاة في مكان مترب وفوقها كومة

من القش.. لا أعرف جثة من ولا سبب رؤيتي لها، لكن الأمر
اتضح من اللحظة الأولى.. هذه الجثة هي ما تريد المرأة السؤال
عنه..

يكن هذا لا يدل على شيء.. إن موهبتي غامضة
تتصرف بطرق عجيبة.. مثلاً قد تريد المرأة السؤال عن شخص
ما فتكون هذه الصورة الشنيعة هي الإجابة. قد تكون هذه
المرأة تحسن الصورة البشعة في عقلها الباطن كأحد محاوفها.
قد تكون المرأة رأت هذا المشهد فعلاً. أي إن موهبتي العجيبة
هذه تتراوح بين قراءة الأفكار والاستبصار والحدس.. فإذا
أضفت لهذا قدرًا لا بأس به من التلقيق من خيالي الخاص،
لأمكنك فهم الحيرة التي أنا فيها.. لو كانت الأمور واضحة
بمعنى أن أقرر قراءة أفكار السيدة فأقروها، لكاست الحياة
سهلة جدًا، ولأمكنني أن احكم العالم!

قمت لي وهي تجلس وتخرج منديلاً في حال سيئة
واضح أنها مسحت به أنفها ألف مرة:

—زوجي.. (أحمد المهندس).. شركة استثمارية..
يقوم بهذا كثيرًا جدًا حقيبة مليئة بادل يسافر به. لكنه
لم يعد هذه المرة. يوم. يومان الشرطة تبحث. لا أثر له
ولا لسيارته..

يتدخل الأخ.

—الكل يتوقع ما حدث.. لكن لا أحد يجرؤ على
قوله..

تنظر لي الزوجة وتقول في رفق.

—خلال أسبوع جربت كل طريقة يعرفها العلم.

—ثم خطر لنا أن نجرب طرقًا أخرى..

أنا إذن طريقة أخرى لا يقرها العلم.. لا أختلف
كثيرًا عن الشيخ (عطوة) نصب القرية لدي يحرق لهخور
ويادي (شمهورش) طيلة الوقت.. هذا يثير عيظي. على
قدر علمي أنا ظاهرة علمية جدًا لكنها لم تدرس بشكل كاف..
لا يوجد مجال هنا للسحرة والمشعوذين..

تمسك الروجة بيدي في ضراعة..

أمي قد بدأت نعتاد هذه الأمور وتفهمها.. هي لا تصدق حرفاً من ذلك، لكنها تعرف أن رجل شرطة يأتيني من وقت لآخر طالباً النصيحة.. صار هذا نمطاً معتاداً في حياتي..
أنظر للزوجة طويلاً..

يمكنني بسهولة أن أرى الدم أرى خيط الدم الطويل الذي سال أثناء نقل الجثة . يمكنني سماع صوت الدباب.. فقط لا أستطيع معرفة اسم البلدة التي تمت المأساة جوارها.. لا أعرف أين.. رأيت الجثة ومكان التحنن منها، لكنني لا أعرف أين يحدث هذا..

سيدتي. أن تلقيت الإجابة التي تريدين.. أعرفها تماماً.. لكنني لن أخبرك بحرف منها..

تقول لي الزوجة دافعة:

- أرجوك. ركزي تفكيرك.. ماذا حدث لزوجي؟.

قالوا لك إنك تستطيعين لو لمست شيئاً من أشيائه أو أطبقت

يدك على يدي.. أرجوك-

يقول أخوها وهو يدس يده في جيبه:

- هذه ساعته وهذا هاتف محمول يستعمله أحياناً..

لربما لو لمست هذه الأشياء لاستطعت أن..-

ألمس الهاتف والساعة.. أبتلع ريتي..

يمكنني بسهولة أن أرى جثة مهشمة الرأس.. في هذه اللحظة بالذات هناك كلب أجرب جائع شرس المنظر يقترب . ينبش وسط القش..

يمكنني بسهولة أن أرى السيارة.. سيارة زرقاء اللون تقف بين الأشجار الكثيفة في عربة ما.. الأبواب مفتوحة وقد غطاها القراب تماماً.. هناك جرار يتحرك من بعيد.. أسمع هدير محركاته..

لكنني لن أقول.. لن أتكلم..

تسألني الزوجة في إلحاح

..هيه؟.. آنسة هند.. هل رأيت شيئاً؟

أقول في حذر.

..هذه الأمور لا تتصح بهذه السهولة. أرجو أن تعطيني فترة كافية للتأمل. لا يتعلق الأمر بزر أصفط عليه فاري..

لكن يمكنني بسهولة أن أرى الكلب يزيح القش عن الوجه. أرى الوجه لمشوه جاحظ العينين.. هذا رجل في الخمسين من العمر.. له شارب كث.. الكلب يقترب. يفتح شذقيه..

إنه...

كيف لو عرفت الزوجة ما يدور في هذه اللحظة بالذات؟.. سوف اصمت.. نعم لن يعيدها أن تعرف أية رؤى مريعة تتلاعب في خيالي الآن..

يمكنني بسهولة أن أرى مدخل الطريق الترابي. لا يمكن أن يهتدي له رجال الشرطة، لأن هناك مثله مئات في

كل قرية بمصر.. لا توجد علامات مميزة..

أركز تفكيري أكثر. السيارة الواقعة مفتوحة الباب.

لماذا لا يراها صاحب الحمار؟. ألم تثر فضوله؟. إلا لو كان يعرف.. يعرف سبب وجودها هنا..

هناك اسم يتردد في ذهني بلا توقف.. (لوحة المحلية بكفر الدنانير). هذا هو المكان..

هذه المرة فتحت فمي.. قلت.

..كفر الدنانير.. سيارته هناك؟

هنا نظرت لي الزوجة في ذهول ثم تبادلنا النظر مع أخيه.. احمر وجهها وقالت.

..كفر الدنانير؟.. هذه قريبته قرب الزقازيق.. عذبة

أسرته هناك. لماذا يعتدى عليه شخص ويأخذ سيارته ليخفيها في قريبته بالذات؟

نظر لي أخوها في دهشة.. هل أنا أحرف؟.. لكن من

أين لي بمعرفة اسم القرية؟.. بالفعل أنا متأكدة . لقد سأل رجل لشرطة عنه هناك لكنهم بالطبع لم يجروا بحثاً مدققاً.. لو حدث شيء للزوج فأخبر مكان يخفي فيه المعتدون سيارته هو قريته.. هذا شيء غريب لكنه حقيقي..

هنا خطرت لي فكرة.. قلت للزوجة.

“هل معك صورة لزوجك؟”

“طبعاً..”

ووضعت كوب الشاي المسموم لتبحث في حقيبتها، ثم تناويسي صورة صغيرة.. تأملتها فرايت رجلاً وسيماً حليق الوجه.. لا علاقة له بالوجه الذي يمكنني بسهولة أن أراه تحت القش...

أمسك بالصورة وأحاول التركيز.. أكثر فأكثر..

يمكنني بسهولة أن أرى مكث واسعاً يجلس فيه ناس. كأنهم قلقون.. يمكنني بسهولة أن أسمع صوتاً أثوياً أيقظاً يمكنني بالإنجليزية.. أسمع صوت محركات.. هذا مطار..

لا شك في هذا..

أنهض كالسحابة. أجري بسرعة لأرفع سماعة الهاتف بينما الضيفان ينظران لي بدهشة..

أطلب رقم الهاتف (سمير البب). يسألني في مزح عم إذا كنت أفصي أسوأ ساعات حياتي، لكنني لا أبده المرح. أقول له في عصبية أن يتصل بالمطار حالاً

“الروح المحتفي . (أحمد المهندس) في المطار الآن

سوف يغادر البلاد.. يجب أن تمنعوه!”

“هل تعنين أنه حي؟”

“حي وقابل!.. لقد قرر أن يحتفي ويسرق المال الذي

كان في الحقيبة، وقد تم هـد بمساعدة شريك. شريك حليف معه غالباً، فهشم جمجمته وأحرق جثته في مكان قريب جداً من قريته (كمر الدناير). يمكنني أن آخذك هـك أعرف المدخل الذي يفودنا للجنة والتي أوشكت الكلاب على تدمير معالمها. أما السيارة فتركها بين الأشجار في العربة حيث

يصعب أن يجدها أحد. بالطبع نقد الحوئي مالا كفي يتناسى وجودها!"

ثم صحت في عصبية.

"لكن لماذا أضيع الوقت بالشرح؟؟ اتصل بالمطار حالا قبل فوات لأون.. أرس أحدهم بصورته لأنه قد يحمل جواز سفر باسم مستعار.. فقط أعرف يقينًا أن حقيبتة محشوة بالمال.."

"حاضر.. حاضر!"

ووضعت السماعة واستدردت للزوجة وأخيها.. نقد تجمدا مذهولين عاجزين عن الكلام، لكنهما سمعا كل شيء. يمكنني بسهولة أن أعرف أنني محقة.. يمكنني بسهولة أن أقود الشرطة لموضع الجثة، لكنني لا أقدر بأية وسيلة على إزالة هذه الصدمة النفسية التي تلقتها لزوجتي المحلصة زوجها لص.. وقتل.. وخائن. ونذل. ولو لم تأت لي الليلة بالذات لهرب

للخارج لينعم بحياة جديدة تاركًا زوجته ترثي نبله وشجاعته ورقته، وتحمل لقب (أرملة)..

إن الحقيقة قاسية لكنني أكثر رحمة من الحياة مع الخداع والأوهام. يمكنني بسهولة أن أفهم هذا، لكن الزوجة لن تفهمه إلا بمرور الزمن.



أندهم كان هذا

أحب اللحظات التي أعود فيها لحياتي الطبيعية .
(هند) العدة بشبه المرحلة بوغا، المتفوقة في دراستها ولها
كن هتمات الفتيت الأخرى..

كثيرون يعتقدون أن امتلاك موهبة خارقة للحواس
شيء خارق، لكنني دعني أؤكد لك أن هذا يجعلك تشعر
بالاختلاف، والاختلاف هو بوابة الوحدة..

تتعلم أن تتكلم، وتتعلم ألا تتق بالآخرين . في الوقت
نفسه أنت تعرف عنهم أكثر من لازم.. تعرف أفكارهم
وهو أجسهم.. لهذا تتعلم ألا تتق بهم أبدًا..

هناك دائمًا رسالة غمصة تفلقاها من كل شيء ومن كل

جهة.. تحاول المهم فتعجز أحيانًا..

الخلاصة.. تشعر بأبك شخص فلتة Frank كما
يقولون.. السؤال هنا كيف يمكن أن تتروح؟ . كيف يمكن أن
تثق برجل تعرف أفكاره جيدًا؟

إن الكتمان لنعمة . القناع الاجتماعي نعمة. لو وجد
إنسان قادر على رؤية الناس من غير ثياب، فلابد أنه
سيموت من الاشمئزاز.. الثياب ضرورية جدًا وكذا بعض
الخصوصية.. أنا أرى الناس أغلب الوقت من دون ثياب
نفسية..

أقول إنني أمر بعثرة يبدو فيها أن موهبتي تراجعت
كثيرًا.. لم تعد تعلن عن نفسها على الإطلاق، حتى أنني
دخلت امتحان منتصف العام، فلم أرى دهني تلك الأسئلة
التي تتريد بلا انقطاع..

أخرج مع أختي.. أشاهد الفلمزيون. أثرثر عبر برامج

لمحادثة. أفرج على وجه المحلات ولا أشترى أي شيء
كالعادة، مدرسة تلك الهوية الأنثوية القوية : تصيب وقت
البائع واستغزاه..

ثم أعود للدار فأنعم بنوم هادئ بلا أحلام..

أبي سيعود الأسبوع القادم.. هذا يعني أن يعود الدفء
للدار . يقولون إن لرجل مهمون جداً.. لا أدري. لكن أبي
مهم جداً بصرف النظر عن كونه رجلاً أم لا. سوف يصبح
في لثروة ويمزج معن، وسوف يجلس بالنامة في الصالة
يشاهد التلفزيون بينما أعد له القهوة..

كل شيء على ما يرام..

أو أعتقد هذا..

بدأ كل شيء عندما عدت من الخارج ظهراً ودخلت
غرفتي.. إنها غرفة فناء بلا ريادة أو عصور عدة صور
لراعب علامة وكظم الساهر هناك مجموعة من الدببة
(تيدي) و (اندب ديب) على المرش، وهناك ملصق كبير لـ

(ميني ماوس) على الجدار..

بدأت أرتب فراشي الذي لم أرتبه صباحاً.. هنا بدأت
أوتوتر.. هناك شيء غريب..

ذلك الشعور المعض يعصف بي.. أشعر
برجل!... توترت وتلعتت حولي. لا يوجد شيء.. لكن هناك
رجلاً.. أماً متأكدة. هناك رجل كن هنا.. إن رائحته النفسية
قوية فعلاً

ما معنى هذا؟

خرجت في عصبية إلى أمي لأسأل:

~هل كان هناك رجل هنا؟. كهربي أو نجر أو أي

حرفي؟~

قالت في برود:

~تعرفين أنه ما من حرفي يدخل البيت في غياب أبيك~

~هل كان خالي هنا؟~

..بالطبع لا.. ما هذه الأسئلة العجيبة؟.. هل من شيء

في غرفتي؟

هزئت رأسي.. بالطبع لا أستطيع أن أقول شيئاً . هي
لا تصدق حرفاً عن قواي النفسية. فقط تضحك ولا تعلق كلما
جاءت سيرة لموضوع.. يبدو الأمر عجيباً مسلياً مستحيل
الفهم عندما تسمع عنه.

مدت للحجرة وفتشت بعناية.. فعلاً لم يضع أي
شيء.. هناك بعض لحلي وهناك ألف جنيه أدرها موضوعة
في مكان ظاهر.. من المؤكد أنها لم تمس..

(هند) يا ملاكي.. أنت تهذين بلا شك..

جاء الليل وخرجت مع أختي لشراء بعض الأشياء، ثم
عدنا..

دخلت حجرتي فأجمت.. هذا لشعور قوي جداً .
هناك رجل كان هنـ.. رجل في غرفتي دون علمي هو بلا

مناقشة لص..

ركعت تحت الفراش باحثة، ثم فتحت خزانة
التياب.. لا شيء..

لكنه موجود . موجود بقوة.. أوشك أن أراه لكن وجهه
يضيع.. ماذا كان يفعل وماذا يريد؟

رحت ابحث في الشقة بعناية، وفتحت الشرفة ثم
بحثت تحت كل الأسرة حاملة كشافاً صغيراً لا شيء
سألقتني أختي في دهشة:

..هل جننت أخيراً؟

أمرتها بأن تخرس.. ثم تأكدت من أن شرفة غرفتي
مغلقة وبابها مغلق وأطفاة النور.. من المستحيل أن أدم مع
هذا الوجود القوي هنا.. فعلاً ظللت ساهرة حتى تسرب نور
النهار عبر الستار..

هنا فقط نمت كجثة هامدة..

نمت حتى الظهر.. صحت من النوم على أمتي تفتح
الشرفة ونلومني بلا توقف على أنني صرت كسولاً
كالخنزير. ثم أخبرتني أن خالي وصديقه جاء..

نهضت وارتديت روبيًا ثم خرجت من غرفتي.. رأيت
خالي يلفف هداك في لردهة، فلما رأيته أشرق وجهه وقبلني
على خدي. ثم أعلن أن راحة النوم تفوح مني بقوة كنت
أفكر بلا بقلع وأركز كل تفكيري.. هل هو؟ لا لا يعطي
ذات الانطباع الذي شعرت به..

خرجت للصالة فرأيت صديقه.. شاب هادئ خجول
صافحني في ارتباك ثم سحب يده سريعاً لكنني نجحت في التركيز
لثون.. لا شك في أنه ليس الرجل المقصود. الرجل المقصود الذي
تكفيني لمسة واحدة ليده مع التركيز لأعرف أنه هو..

كنت أمتي قد أعدت مائدة لغداء فجلسنا جميعاً
نأكل..

عدت لغرفتي.. هنا انتفضت.. لقد تجدد هذا الشعور

بقوة من جديد.. لقد دخل هذا الشيء بيما أب أتبول
غداً!.. ولكن كيف؟.. هل يجرو؟

بأية طريقة أشعر به؟ هل هذا تخاطر أم استبصار؟..
هل هو الإحساس بمن نسر الشيء Psychometry أم هي
رؤية المستقبل؟

هذا سؤال مهم لأنه يعني إما أن الرجل دخل الغرفة
فعلاً، أو إنه سيدخلها في المستقبل، أو إنني أخرف ببسطة..

الاحتمال الأخير مريح لكنه غير مقنع. لم يحدث من
قبل أن شعرت بهذا الشعور الكاسح..

لا أستطيع أن أتصل بالشرطة لأقول إن لدي شعوراً
قوياً بوجود لص.. فقط أقوم بفتح لأدرج كلها.. لقد فتح هذا
الدرج وذاك.. لم يفتح هذا..

أعتقد ذلك.. ربما فتح الخزانة.. لا.. لم ينم في
الفرش.

أوشك على أن أجن..

أخيراً قررت أن أفعل شيئاً.. يجب أن أبرهن على
إنني حمقاء..

خرجت إلى بيت جارتني (منى)، وكانت موشكة على
نوم الفيلولة فطلبت منها كاميرا الويب الخاصة بها كاميرا
لاسلكية هي، ابتاعها أخوها عندما كان في أمريكا، أداة
صغيرة مستديرة تشبه كرة العير، ويتم إحماؤها في مكان ما،
ثم يتلقى جهاز الكمبيوتر الصورة منها عبر مدى معين.
أداة خطيرة فعلاً.. ممتازة للتجسس..

قلت لي في شك:

- هل أنت متأكدة من أنك تريد أن أخذها؟

- نعم.. ولن أكسرها.. أؤكد لك..

- لو حدث لها شيء لكسر أخي رأسنا معاً.. سنتمنى

لو لم نولد.. أذكرت كذلك بالقرآن الكريم.. (ولا تجسسوا)..

قلت لها مؤكدة:

- سوف أتجسس على غرفتي الخاصة.. صدقيني..

أفهمفتني أن الكاميرا ستؤدي عملها طال كانت في
مجال الإرسال.. لحسن الحظ لن غرقني مقلصقتان عبر
الجدار.. سوف تستقبل الصور على جهازها وتسجلها لي
لأراها فيما بعد.

هكذا عدت لغرفتي التي توحى بشدة بوجود رجل..
تسلقت على الفراش لأبلغ قمة خراة لثياب ثم دسست تلك
الكاميرا هناك بحيث تطل عينها على الغرفة من مسقط علوي
كاشف وضعت حولها بعض الصحف والمجلات بحيث
تحميها عن الأعين ولا تحجب الرؤية، ثم نظرت لأعلى
للعنسة وطلبت (منى) على جهاز الهاتف المحمول:

- هل تريدني؟

- أراك بوضوح تام.. وأرى الفراش وباب الغرفة في

ركن الصورة

- جميل.. سوف أخرج الآن.. أرجو أن تدومي على

التسجيل لمدة ساعتين "

وهكذا عادت البيت. رحت أمشي في الطرقات أشاهد
ووجهات المحلات، وبعث الكثير من الشيكولاته وكل ما
يلزم للتسلية. دخلت كل محر قاسته. توفعت أمام كل
واجهة. أصغت ساعين بصعوبة بالغة لأبك إذا أردت تدبير
الوقت تذاق كالسلحفاة..

أخيراً هرت ساعتان فعدت لداري....

كنت ملهوفة على معرفة ما تم. لكن يجب أن أرى
الفيلم بنفسى ولا تصفه هي لي.. ثم إننى أعرف أنها لن تظل
تراقب الشاشة كل هذا الوقت. لابد أنها نهضت لتشرب في
اللحظة الحاسمة..

كنت حجرتي توحى بشدة بأن ذلك الرجل العاصم
دخلها.. لمساته في كل شيء..

بعد ربع ساعة قرعت باب (منى) وأما مهمومة قلقة،
فحيتني ثم قالت في مرح:

"انقطع الإرسال بعد ساعة.. لا أصرف السبب لكن
هذه الأشياء تحدث.. تعالي لتري الفيلم"

وفي غرفتها قامت بتشغيل الكمبيوتر.. لا شيء سوى
الغرفة الخالية في إضاءة خافتة تعمدت تركه هناك.. طلبت
منها أن تسرع الصورة قليلاً ففعلت..

بعد نحو ساعة من العيلم أو أقر سمعت باب الحجرة
الظاهر في الركن.

يدخل الرجل الذي اثار رعبى كل هذا الوقت. يتلمت
حوله في قلق ثم يبدأ التفتيش. يقلب لمرتبة على الفراش
ويعيدها.. يفتح درجا ويفلقه. يبحث تحت الوسادة.

إنه (رامى).. أخى الصغير!

تساءلت (منى) وهي تراقب الشاشة.

"رأيتك ولم أفهم ما يريد.."

كنت أما أعرف.. منذ ثلاثة أيام عاقبتة على أنه ضرب
رأسى بالكرة، فأخذت حصاقله. اللعبة الصغيرة لتي يدخر
المال فيها، وأخفيت عنها. واضح أنه ينحين أية فرصة لا
أكون فيها في حجرتي كي يفتش بعناية بحثاً عن تلك

العبية إنه لا يقدر ويعيد البحث في ذات الموضع مراراً.. الآن
تذكر أنه غادر الدندة للحظوظ عندما كنت مع حالي.. لا
يعرف أنني أخفيت العلية في غرفته بلدات تحت الفراش .

رجراً.. نعم.. لم أفطن من قبل لهذا، لكن علامات
المراهقة ظهرت عليه.. صوته خشن وله شارب رغبي صغير .
لقد أخبرني حدسي بأن هناك رجلاً في غرفتي لكنه لم
يخبرني من هو، وأنا لم أفكر في رامي قط ولم أحاول أن ألمس
يده وأن أركز ذهني لأعرف..

حدسي تقدم لي معلومات دقيقة لكنها غير كاملة..
تقدم لي الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة لكنها ليست كل
الحقيقة..

أما ناد، لم أشعر بهذه لهالة الدكورية إلا في غرفتي،
فلأنها عرفتني التي أعرف كل ركن فيها والتي نصوع بالأبوثة
ولم يدخلها رجل قط باستثناء أبي.. عملي الخاص جداً . لهذا
بد وجوده واضحاً فيها كقيل يمشي في القطب الشمالي..

الآن أرى على الشاشة رامي يجذب مقعداً ليتسلق
عليه. يريد أن يفتش فوق خزانة الثياب.. يقرب وجهه من
العدسة جداً ويمد يده. يتشوه وجهه كعادة العدسات.. ثم..

ثم أظلمت الصورة فلم تعد هناك إلا خطوط عرسية
قالت (مى):

"هل عرفت الإجابة عن سؤالك؟"

"نعم "

"إذن أرجو أن تعيدي لي الكاميرا قبل أن يكتشف
أخي اختفاءها.. "

لكنني بالطبع كنت أعرف بقية لقصة. رامي يمد يده
فوق خزانة الثياب. جسم كالكرة يتدحرج على الأرض
ويتهشم.. رامي يصاب بالدعر ويفر..

وجدت الكاميرا المهشمة في عرفة النوم على الأرض
قبل أن آتي لمتي. الآن أعرف أنه رامي وأعرف أنني كنت

قلقة بلا داع..

فقط علي أن أخبر (متى) بما حدث لكاميرا أخيها..
علي أن أعذر لها وأمنعها من الصرخ الهستيري.. ربما أتعلم
لشراء من الإنترنت لأبتاع لها واحدة أخرى من موقع
(أمازون).. يعلم الله كم يبلغ سعرها ومتى تصل..

أممي مشاكل كثيرة.. فليساعدني الله على اجتيازها في

سلام !!



هذه إجازة منتصف العام . سوف يأتي أبي بعد
يومين، لهذا يسود البيت جو من الترقب لرح . أجمع شيء
في الآباء الذين يمضون أكثر الوقت في عمل بعيد من أبنائهم
أنهم يتصرفون كالضيوف بالضبط . يدللون أولادهم ويلبسون
رغباتهم، بينما يفضلون عدم تضييع الوقت في التوبيخ
والعقاب.. لهذا تكون زبارة أبي حلماً...

هذه إجازة منتصف العام لهذا تضيق جداً عندهم
أيقظتني أمي في التاسعة صباحاً كي أرد علي مكالمة من
د.(محمود الألفي).. إنه صديق عزيز وله الحق في أن
يزعجني ويقلق راحتي، لكن من حقي أن أشعر بالغضب..

حافية القدمين أنتاب رفعت السماعه فجاءني صوته
المدعور هذه المرة الأولى لني أسمع فيه صوته مدعوراً كان
يقول.

”هذ.. أنا بحاجة لك..“

أخيراً اعترف بحبه لي على ما يبدو. ثم أفقت مدركة
أن الناس يجعلني أهذي..
”أخيراً؟“

”إن خالتي في مازق حقيقي..“

خالته في مازق.. هذا مبرر كاف لإيقظني في ساعة
كعذه إذن.. ما هي التفاصيل؟

قل بنفسك لأعز

”زوج خالتي قد توفي منذ عام. ترك لها بيتاً في
المعادي تقيم فيه. خالتي تصر على أن تباع هذا البيت بثمن
بخس وتقيم في أي مكان آخر..“

”هذا من حقها..“

”لا.. كبار السن يتصرفون بهذاجة أحياناً.. هناك من
يعرف بالحجر قانوناً بالنسبة للمسنيين لذين يرفضون معرفة
مصلحتهم، ولكن ابنها الوحيد لم يرفع على أمه قضية
حجر.. معنى هذا أن خالتي ستبيع فيلا رائعة الجمال
بهدية غناء، مقابر ملاليم.. وسوف تقيم بقية حياتها في
شقة بغرفة وصالة في حي قذر.. هل فهمت مشكلة؟“

تساءلت من جديد وعدت أسأل

”لابد أن البيت يذكره بفقد زوجها أو له ذكريات
أليمة“

”الأمر كذلك نوعاً. المشكلة أن زوجها أمرها بذلك..“

فركت عيني من جديد.. لقد تجاوز التخريف مداه
بالنسبة لي.. زوجها أمرها؟.. قلت إنه مات..

قال في مل:

"إنها تؤمن باستحضار الأرواح.. قابلت من يدعى د (مهران) وهو نصاب يرعى أنه يستحضر الأرواح.. وقد قام بعدة جلسات في بيته . زوجها يتكلم في هذه الجلسات ويأمره بأن تبيع الفيلا لمن يدعى (شوقي حمدان) . خالتي مقتنعة جداً بأن هذه رغبة زوجها وسوف تفعل ذلك.. لقد اتصلت خالتي بالمحامي وطلبت منه ترتيب كل شيء . المحامي أصابه الذعر واتصل بي طالب رأيي فهو كان يرعى مصالح زوجها لفترة طويلة ومصالحها المالية تهمه.. قلت له إنني سأحاول التصرف.. "

"أنت طبيب نفسي.. يمكنك بالفعل أن تقنعها.. "

"مستحيل.. إنها متصلة الرأي بشكل لا يصدق ولا

تقبل أي منطق.. "

"والمطلوب مني؟"

شهق وقال:

"هناك جلسة تحضير أرواح في التاسعة مساء اليوم.. أريد أن تحضري الجلسة وتحاولي أن تلتقطي شيئاً . هناك خدعة ما لكنني لا أعرف كيفيةها.. "

"ولكن... "

عاد يقول متوسلاً:

"سوف أوصلك إلى هناك وأعود بك للدار . دعيني أكلم والدتك لتوافق.. على الأقل يمكن للطب النفسي أن ينجح معها.. "

الآن أنت تعرف كيف بدأ كل شيء..

أنا في سيارة د.(محمود) وهو يتجه إلى حي المعادي الراقي الجميل. وعندما رأيت الفيلا شملت غير مصدقة.. هذه أجمل بيت رأيته في حياتي.. يذكرك بالبيوت التي كنت تراها في أفلام المستينات. ربما ترى (شادية) أو (فاتن حمامة) في أية لحظة.. سوف ترى صبيّاً على دراجة تتبعه الخادمة التي هي (وداد حمدي) طبعاً..

يمكن إن فهم القصة.. النصاب الذي يستحضر الأرواح
على علاقة بـ (شوقي حمدان) . هكذا يقوم بإقناع السيدة
المسنة . وفي نهاية تبع الفيلا بثمن ربع كيلوجرام من الفول
السوداني..

شعرت بالدم يتصاعد لرأسي غيظاً . خداع الضعفاء
والجهلة وحسني البنية أمر يحطم أعصابي.. تذكرت قصة
(حذار من لشفقة) لـ (ستيفن زفريج) عندما نجح النصاب
اليهودي في خدع فتاة بريئة ساذجة باعته كل ما تملك
وصارت معدمة تماماً، وبرغم هذا شكرته على عنايته بها .
عندئذ فقد التحكم في أعصابه وأدرك كم هو وغد شيطاني.
لكنه لم يجسر على الاعتراف بذنبه. هكذا تزوج هذه الفتاة
البريئة ليرعاها بمملها !!

موقف إنساني غريب وطريف، لكن لا أتوقع أن يملك
شوقي حمدان ربع هذا الضمير..

ندخل الفيلا . هناك في قاعة فسيحة خافتة الإضاءة
مائدة مستديرة واضح طبعاً أنها معدة لهذه الأعراص.. هناك

سيدة عجوز ورجل وقور ونصاب . أنت تعرف كيف يبدو
النصابون . وهناك شاب مدعور واضح أنه ابن السيدة
العجوز.. طبعاً السيدة لعجوز ببيلة الملامح هي حلة د.
محمود..

كاذباً قدمني د.محمود الألفي لهم

”هند.. صحفية مهتمة باستحضار الأرواح.“

نظروا لي في شك وحيرة وبظر لي النصاب بعد نية
واضحة..

قال د.محمود وهو يقدمهم لي

”خالتي مدام (عممت).. ابنتها (شريف)..

د.(مرروق) ابن خالتي الثانية وهو أستاذ فلسفة بالجامعة..

د.(مهران) خبير استحضار الأرواح..“

عرفت أن د.مهران على شيء من الخيال.. هذا
مفهوم.. لا بد للنصاب المقتنع أن يكون مقتنعاً بما يفعله نوعاً

والألم أحدث تأثيراً بغيضاً.. لكي عرفت بحاستي كذلك ما
كنت أعرف أنني سأعرفه هذا نصب وهناك خدعة كبرى
هنا.. لكن من هي؟

نظر لي بعينين ناريتين وقال.

—ليكن.. اجلسا ولا تحدثا صخباً.. هذه الأمور
حساسة جداً—

قلت له في ثبات:

—مهرا.. أنت رجل ذكي كما هو واضح ومن المؤكد
أنك تدرك أنني أشك في الأمر كله—

—عرفت هذا من عينيك.. سوف ترين حالاً—

ثم أمرنا بالصمت..

سار هدوء حذر وهو يستدعي روح الفقيد.. ثم تناول
منشفة زرقاء وضعها على رأسه وراح يدمدم بكلمات معينة
من خلفها.. الحق أن منظره كان مرعباً وشعرت بقشعريرة..

فجأة تغير صوته..

سمعت صوتاً أخف عميقاً من أصوات هؤلاء الذين
يقلبون حرف (الراء) إلى (ياء) الصوت يأتي من مكان
ولا مكان.. واضح أن هذا صوت الزوج المتوفى..
الغريب أنه لم يكر يحرك شفتيه.. لم أر احتلاجاً على
المنشفة..

—عصمت.. أنت لم تطيعي أوامري.. لم تبيعي الفيل..

هتفت العجوز في رعب:

—لم يأت الوقت بعد يا شوكت.. إن المحامي..

دوى صوت الزوج غاضباً:

—ما شأني بالمحامين؟.. إن البيع هو الشيء الوحيد
الذي سينقذك مما هو قادم.. أنت لا تهتمين عالم الأرواح.
نحن نعرف كل شيء.. صدقيني.. الخطر كل الخطر أن

تركبي رأسك.. هناك مشتر لا بأس به.. عليك بالبيع فوراً .

”سأفعل.. سأفعل..“

كان الأمر مستغرباً.. هناك خدعة لكن لا أعرف ما

هي..

هذه صحت في عصبية

”أرجو منك يا أستاذ شوكت أن تخبرنا برقم بطاقة

زوجتك وتاريخ ميلاده ويوم زواجكما.. في أي يوم انجبتما

ابنكم وفي أية مستشفى..“

ساد الصمت ثم عاد الصوت يقول في عصبية.

”من هذه؟.. كيف تجرؤين؟“

”ما دامت الأرواح تعرف كل شيء فهذه الأمور تافهة

بالنسبة لك“

عاد الصوت يقول:

”في عالم لأرواح لا نعبأ بتفاهات كهذه... ولا نقبل

لامتحان..“

قالت السيدة العجوز لي في نوع من اللوم:

”أرجو أن تصمتي.. هل تعتقدين أن الأرواح تحفظ

أرقام البطاقات الشخصية وأعياد الميلاد؟.. هذه ليست جهة

حكومية يا صغيرتي..“

تدخل د مرزوق وهو لرجل الوقور الذي عرفت أنه

ابن أختها وقال:

”من حقها بعض الشك يا خالتي..“

قلت في حماسة:

”كل هذه التجربة ملفقة.. هناك جهاز إرسال

واستقبال في مكان ما وهناك من يجيب عن الأسئلة..“

قال د.(محمود) في هدوء:

”هذا صوت زوج خالتي فعلاً.. لا يمكن أن نخطئ

فيه“

”إن صوته وطريقة كلامه سهلا التقليد جداً.. أي

شخص أخف يحلظ بين الرء والباء سوف يعطي ذات
لانطباع . بالإضافة إلى تشوش الصوت .. أعتقد أن هذا الأستاذ
(مهرن) يخفي جهاز استقبال ومكرر صوت في ثيابه

قال د. محمود بسمًا:

“قمنا بتمتيش . وهو قد قبب ذلك . لا يوجد شيء من

هنا ..”

قلت في عناء:

“سوف نشغل جهاز الرديو ونفتح صنوبر الماء .. هذا
يعطل أجهزة التنصت .. أراهم على أن الصوت سوف
ينقطع!”

قال د. مرزوق بسمًا بطريقة من يخاطب طفلًا:

“بالفعل سوف ينقطع .. من قال غير هذا؟ .. لكن
لأسباب مختلفة. إن تجارب الاستحضار حساسة جدًا لأية
ضوءاء وسوف ترحل الروح ..”

هنا شعرت بشعور غريب .. هناك من يتكلم في رأسي ..
هناك من يأخذ بيدي ..

أنا أعرف أنك في صمي .. أعرف أنك صادقة .. أعرف
أنك قادرة على التقاط ما يعجز البشر عن التقاطه .. لهذا
أستطيع الاتصال بك ..

وهنا فهمت .. إن (شوكت) الزوج يكلمني!

شعرت بمن يجذب بيدي .. كأنني أطيرو .. أطيرو .. هناك
غرفة ضيقة في مكان ما من الحبي، يجلس فيها رجل أصلح
أمامه شطيرة وكوب من الشاي .. هناك سماعتان على أذنيه ..
يتكلم في مكبر صوت .. يغير صوته ليصير أخف فيه عيب في
النطق . إنه مصدر الصوت الذي نسمعه . لا شك في هذا ..

أعود محلقة . هناك قوى خفية تجذبني جذبًا .. أدور
حول الفضة برغم أنني ما زلت جالسة حيث أنا .. أخيرًا
أقف خلف د. مرزوق! .. ابن أخت السيدة .

إيه هو!

أنت قد عرفت كل شيء.. ساعديني.. لا تتركي
(عصمت) تقع في الشرك وتضيع كل شيء..

أعود لوعبي حيث ما زالت التجربة مستمرة..

أقف في حدة وأقول:

— د. محمود.. أرجو أن تأخذ د. (مرزوق) خارج

البيت.. الآن!

نظر لي الكر في دهشة.. وكاد مرزوق يحتد لكس

د. محمود جذبه من يده مهدد.. هذه فتاة مجنونة فلننظمها..

هكذا خرج الرجل وهو ينظر إلى الخلف غير مصدق..

بعد دقيقة ساد الصمت..

قلت بلهجة منتصرة لد. مهران الذي أخفى وجهه

خلف المنشفة

— لقد توقف الاتصال!

قال بصوت مكبوت.

— لقد أثرت غضب الأرواح!.. لا يمكن إجراء تجارب

حساسة كهذه مع كل الصخب الذي تحدثينه

هنا دخل د. محمود الغرفة وهو يمسك بيد ابن

خالته.. وصاح بطريقة مسرحية وهو يلوح بشيء في يده

— انتهى الأمر يا خالتي.. مرزوق كان يحمر جهاز

تنصت وسماعة صوت في جيبه.. لم نشك فيه لأنه فوق

مستوى الشبهات، لكنه كان صاحب لفكرة منذ البداية وهو

من أقنع شوقي حمدان بهذه اللعبة.. دعك من أنه يعرف كل

شيء عن زوجك ويمكن أن يكون كلامه مقنعاً.. هكذا تم

ترتيب كل شيء.. كل ما يدور هد يبقل عبر لجهر لغرفة

يجلس فيها رجل يستطيع تقليد صوت الفقيد، وتأتي لردود

فتخرج من سماعة مثبتة في ياقة قميصه من الداخل..

نظرة واحدة على وجه الدكتور مرزوق قلت بوضوح

إنه الفاعل وكل هذا صحيح..

وشهقت مدام (صمت).

ـ "هـ كنت تخدع خاتك كل هذا الوقت؟"

قال د. محمود.

ـ "إن ثمن هذه الفيلا بأسعار اليوم مغر جداً، حتى بعد خصم أتعاب الخبير الروحاني والسعر الذي كنت ستتقاضيه فعلاً وعمولة د. مرزوق عن هذه الخدعة"

ثم صاح بصوت آمر.

ـ "لو سمحت لي يا خالتي.. سأطرد هذين النصابين.."

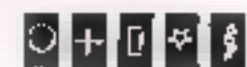
ثم نظر لي وقال:

ـ "كنت أعرف أن حاستك ستتصرف.."

قلت في حياء:

ـ "تلقيت مساعدة خارجية.. لكنك لن تصدقني على كل

حال؟"



هل قتلها؟

أمسية هادئة هي أمم جهار السعريون . أقبح كقطة هائلة جوار أبي الذي يقصي معن إجازته القصيرة، بينما أختي تقبع في الجهة الأخرى . في هذه الفترات لا يهدير أبي من حق أمنا على الإطلاق.. لا تستطيع الاقتراب منه، لا لو دفعت ثمن النكوة.. لا تغفر به إلا عندما نخرج للكليات أو العمل أو ننام.. فيما عدا هذا هو ملكنا..

أبي رقيق حنون ومهذب.. أبي أجمل رجل في العالم، وإنني أتساءل لماذا لا أقاس أبداً رجلاً مثله. لماذا لا يحمل باقي الرجال طباعه وملامحه؟

صديقتي (صفاء) تقول إن السبب هو أنه بعيد وبالتالي
عزير جداً . يشبه الضيف الذي يرور غباً فمتمتده طيلة
لوقت..

تذكرت (صفاء) ويبدو أن السبب يعود لحاستي
العبقرية إيه.. لقد دق جرس الهاتف طويلاً، فرفعت أمني
السماعة وسمعتها تقول في قلق:

"ماذا؟.. تماسكي يا ملاكي قليلاً.. أرجو أن تهدئي!"

نظرت بعقول لنعرف ما لمشكلة، لكنها لم تقل شيئاً.

فقط قالت

"ههه.. هذه صفاء.."

ونظرت في ميني وناويتني لسماعة دون كلمة أخرى
كأنها تفضل أن أسمع بنفسي..

تناولت السماعة بقلب واجف، فجاء صوت صفاء

الباكية:

"ههه.. أمني ماتت في حادث!"

ثم انفجرت في البكاء.. حتى إنني انفجرت بدوري..

هرعت لغرفتي ألبس ثيابي.. وأصر أبي علي أن

يرافقني لأن الليل قد جاء.. ارتدى ثيابه بسرعة البرق،

وسرعان ما كنا ننطلق في سيارة أجرة إلى بيت صفاء صديقتي .

كان الوضع هناك في غاية السوء كما لك أن تتخيل..

أم صفاء معلقة.. انفصلت عن أبي صدم منذ أعوام،

وتقيم صفاء عند أبيها الذي لم يتزوج ثانية.. لا أعتقد أن أحد

الطرفين محطن أو آثم.. إنه سوء تفاهم معتاد بين الناس

الطيبين لأسباب مجهولة . أمها من لطرز شديد الحساسية

والتوتر.. كتلة أعصاب تمشي على قدمين..

لقد تزوجت بعد الطلاق من ذلك الوغد المروور

(هشام).. يرغم أنه محاسب ويزعم أنه مدير دعاية ويزعم

أنه رجل أعمال . الخلاصة أنك لا تعرف عمله بالضبط.. على

الأرجح هو أفاق..

إنه مطلق بدوره، لكن بوسعك أن تدرك بسهولة أنه لا

يذهبها على لإطلاق.. أن لا أعرفه جيداً، لكن (صفاء) تقول
إنه مبذر وكسول يهوى، نفاق ثروة أمها، أمها ثرية جداً
ومن أسرة ذات أملاك واسعة، إن الأمر لا يتعلق بحب مرفه
يحملة الرجل لها، لكنه ببساطة قرر أن يفسح شبابه حول
الطلقة الثرية ليأخذ كن مليم معها. وهو ما لم يحدث لأنها
كانت ذكية وعرفت كيف تعطيه المال بالقطارة.. برغم هذا
كانت تحبه فعلاً..

ألت صدف برأسها على صدري وراحت تبكي، بينما
جلس أبي في حرج بعض الوقت مع الرجال ثم قال لي هماً:
"لا يبدو الوقت مناسباً لرحيلك.. هل تحبين قضاء
الليل معها؟"

"بالتأكيد.."

"حسن.. سأصرف ولنكن على اتصال.."

وهكذا ضمنت صدف ومشيت وسط عابة اللون الأسود إلى
غرفتها..

جلست على الفراش، وقالت لي في حيرة:

"كانت تقود السيارة على طريق لمحور بسرعة
جدونية ثم انقلبت.. هه، شيء غير متوقع من أمي، إنها
سائقة بارعة، يقولون إنها تصير رجلاً عندما تقود"
وماذا تريد من قوله؟

"هذا الوغد.. زوجها.. هناك لعبة ما.. أن أعرف أنه
قرر التخلص منها.. لم يكن لديه حل أكثر رقة.. لا شك أنه
اتلف الفرامل أو وضع لها مخدراً ما.."
قلت في أسي:

"يا عزيزتي لسنا في فيلم بوليسي هنا.."

"كل شيء يشير لذلك.. لقد أراد قتلها والظفر
بالبيراث وقد فعل.."

رحت أفكر قليلاً ثم سألتها:

"متى وقع الحادث؟"

- في الثمينة مساء.. كنت متجهة للمعادي "

هكذا مرت الليلة لكنني قررت أن أقابل (هشام) هذا في الصباح.. يجب أن أراه ولمسوف أعرف..

كان سنهار قاسيً على الجميع، وعند الظهيرة تحرك رتب من لسيارات إلى المستشفى لتسلم الجثة.. ما تبقى منها.. وكانت صفاء تبكي بلا انقطاع، عندما ظهر رجل من مكان ما وناولها جهاز محمول صغيراً أنيقاً وقال:

- هذا هو المحمول الخاص بها.. لقد نجا من الحادث ووجده رجال الإسعاف.. "

ناولته لي صفاء قائلة:

- أرجو أن تبقى معك.. ليست لذي أعصاب تسمح بأن.. "

ومن مكان ما ظهر رجل وقور وسيم لكن عينيه مخدعتن.. هذا واضح تماماً.. إنه (هشام) لا شك في هذا.. تقدم نحو (صفاء) وصافحها.

- صفاء.. تماسكي يا عزيزتي.. كلب سوف نلقى المصير

ذاته.. "

أنصت له وهي لا تصدق حرفاً مما يقول.. ثم استدار نحوي ليصافحني وهو ينظر في عيني..

هذا الرجل غير صادق.. أعرف هذا جيداً الآن.. أعرف كذلك أنه يكذب.. ولكن كيف؟

رحلت أرقب المشاهد لقاسية مفكرة.. يجب أن أعرف الحقيقة.. هل لو طلبت من الشرطة فحص السيارة بعناية للتأكد من حدوث تلف متعمد؟ ربما تحليل دم الفقيدة قد يظهر وجود محدر ما؟.. كنت تقود السيارة بينما وعيها يتسرب وتركيزها يقل.. بعض الأدوية ذات الأثر الجانبية المخدرة تريد من خطر الحوادث بشكل غير مسبوق.. ربما..

لكن وقت الحصول على عينة من دمها قد فات.. إن الموكب يتجه إلى المقابر..

كنت أمس يدي في حقيبتي عندما وجدت جهاز

المحمول. هناك شيء ما يتعلق بهذا الجهاز.. طاقة نفسية غريبة تحيط به.. أشعر بها.. أرى الطريق الدائري.. أرى وابلًا من السيرات.. أرى.. الطريق ينحرف وأنا احلق في الهواء.. لقد فقدت التحكم في نفسي..

هذه هي المشاهد التي عاشها المحمول المسكين لجذلة النهاية..

تفحصت أرقام الهاتف.. لقد كن آخر رقم طلبها هو (هشام).. (هشام).. الاسم يتكرر ست مرات.. لقد طلبها كثيرًا جدًا حتى أجابت..

من طلبته هي؟.. (هشام) أيضًا.. متى؟.. الثامنة إلا دقيقتين.. قبل الحدث مباشرة..

لقد كان الاتصال به آخر شيء فعلته في حياتها.. لكن لماذا؟..

استعمال لمحمول أثناء القيادة خطر فعلاً.. هي كانت تعرف هذا.. لهذا تجاهلت خمس مكالمات منه ثم اضطرت

للرد على السادسة..

ولكن.. يا إلهي.. بدأت أفهم..

أضع سماعة المحمول على أذني.. أوشك على سماع ما قيل.. إنه يعرف أنها على الطريق تقود سيرتها بسرعة 120 كيلومترًا في الساعة وسط زحام السيرات وفي طريق خطر فعلاً.. يطلبها مرارًا بالحاح غريب.. في المرة السادسة ترفع السماعة في حذر وعينها على الطريق الخطرة تسمع الصوت المتألم المبحوح:

“هالة.. أنا.. أنا.. جريح”

تسأله في زعر:

“هشام.. ماذا حدث؟”

“حادث.. أنا موشك على الموت وأنرف من ك..”

ثم ينغلق الخط.. ترتجف وقلبها يتواثب.. تصفط لا شعوريًا على نواصة البنزين أكثر.. تطلب رقمه فيرد

- "أنا أموت.. وداعاً.. سامحيني.."

تصيح في جنون والدموع تغرق وجهها:

- "هشام.. أين أنت؟"

- "أنا في.. أنا في.."

في هذه اللحظة كنت قد فقدت التحكم في عجلة القيادة. سيارة تمر بجوارها بسرعة البرق فتميل لتضربها ثم تميل للجهة الأخرى لتصدم سيارة نقل وتطير العجلات فوق الأرض..

دورة ، ودورة.. ثم الظلام النهائي..

أعرف هذا كله وأراه..

يتصاعد الدم لرأسي وأتجه لهشام الذي يقف بالنظارة لسوءه رأساً الحزن على وجهه فأقول:

- "أنت نذل "

- "هل جذبت؟.. من أنت لتكلميني بهذه الطريقة؟"

- "نذل وقاتل.. لقد تلاعبت بأعصاب هذه البائسة في

وقت حرج. جعلتها تجن وهي مدفعة بسرعة 140

كيلومتراً على طريق خطيرة.. الدموع جعلتها لا ترى وكادت

تفقد الوعي بينما انت تمثل تمثيليتك القذرة وتنتظر بأنك

جرحت في حادث!"

نظر لي في زهول ثم فصر أن يسمعني حتى لنهاية

قلقت:

- "لو لم يحدث لها شيء، كنت ستزعم إنك كنت تمزح

مرحة سخيفة.. لو حدث لها شيء فأنت قد ربحت.. إنها

الجريمة الكاملة فعلاً ولا أحد يستطيع اتهامك بشيء.."

قال لي بهرود:

- "حسن.. لتكون جريمة كاملة.. ما المطلوب منك؟.."

أنت قلت إنه ما من أحد يستطيع اتهامي بشيء.."

لقد وجد أن الإكثار متعب من الواضح تمام أنني

أعرف ويعلم الله وحده كيف حدث ذلك، لكنه على الأقل

مطمئن أنه لا جدوى من معلوماتي..

قلت له ضاعطة على كلماتي:

- "لقد كنت برعاً.. لكن دعني أؤكد لك إن الجريمة

الكاملة لا وجود لها.. سوف تلقى عقابك.. لا أعرف كيف ولا

متى.. لكنني أعرف أنك ستلقى عقابك"

وفضلت أن أترك الجميع فلا أحضر الجنازة..

سوف أعود لداري وأبكي طويلاً على شر البشر

ونذالتهم..

على أن صفاء تصلت بي بعد ثلاثة أيام. كان صوتها

مبحوحاً منفعلاً..

قالت لي وهي تشفق:

- "هل تصدقين أن (هشام) لاقى المصير ذاته؟"

- "أي مصير؟"

- "لقد كن يقود سيارته بسرعة جنونية ليلاً فانقلبت..

تحيلني هذا؟ . ثلاثة أيام بعد مصرع أمي؟ . ما رأيك؟ . هل

أحبها لدرجة أنه لحق بها بسرعة؟ أم أن القدر أراد أن

ينتقم لي لأنه قتلها فعلاً؟"

تنهدت طويلاً ثم قلت:

- "لا أعرف.. فقط أعرف أن الله تعالى عادل.. لا اعتقد

أنك مسرورة برغم هذا"

- "موته لن يعيد لي أمي. لكنه يريحني نوعاً لا أكره

هذا.. "

ووضعت السماعة معكراً..

لو كنت خبيرة نفسية لقلت إن الرجل أراد أن

يُعاقب.. ضميره عاقبه فقاد سيرته شرد ذهنه . ولقى نفس

نهاية زوجته.

لكن هناك احتمالاً آخر لا أعرف مدى صدقه قوتي

النفسية تدخلت وجعلت عجلة القيادة تحتل في يده، أو

تدخلت وملأت ذهنه بالاضطراب في لحظة حطرة كهذه

لا أعرف حقًا..

لقد تلقي عقابه.. قليل من الناس يعرفون أنه تلقى
عقابه.. وأن وافته ليست مصادفة مأساوية بل هي حكم
بالإعدام استحققه عن جدارة..

فليرحم الله أم صفاء.. لقد نالت انتقامها.. وعرف
(هشام) أن الجريمة الكاملة لا وجود لها.



التذير

قال لي الدكتور (محمود الألفي) الطبيب النفسي
الكبير

~ بالطبع موضوع الأريكة وجهاز التسجيل هذا يبدو
جميلاً في السينما، لكننا لا نعمل به. طريقة التحليل النفسي
نفسها قد تطورت جدًا..~

تنهدت ونظرت للسقف في عيادته وقلت:

~خسارة. كنت أحب هذا المشهد جدًا في أفلام (فاتن
حمامة) و(عماد حمدي) القديمة.. الظلال ولجو الفمض
والشعور بأنك ترتاد أدغال النفس المظلمة~

ابتسم في شيء من السخرية، وعاد يقول

"لنكسر كلامنا.. قلت إنك جئت لي لأنك؟.."

"لأنني خائفة لدرجة الموت.."

عبث بالعلم الذي في يده في قعدة لمصباح البروسري

الموضوع على المكتب، وقد في شروء.

"كن هذا من رؤيا طائفة.."

"طائرة تسقط. تخرق لسحب وتسقط بسرعة هائلة

ولا أحد يقدر على أن يبقدها.."

"أن شخصيًا حلمت أمس بمنطاد محترق يهوي.."

قلت في غيظ

"(محمود). أنت تعرفني الآن بما يكفي، وتعرف

أن تلك الرؤى لغامضة التي تطردني لها أساس من الصحة..

لست مجرد فتاة هستيرية تهذي. أنت تعرف موهبتي

الغضة تلك.. هناك بالفعل طائرة سوف تهوي.."

ابتسم ثم أشعل لفافة تبغ، برغم أن المكان ضيق

وخائق، ويرغم أن على الطبيب لنفسه ألا يضايق مرضاه

بالتدخين. آخر من فعل هذا كان (فرويد) نفسه على ما

أظن..

قال لي وهو ينفث سحابة كثيفة

"أرى أنك تتجاوزين الحدود التي نعرفها.. لا أحد

يملك القدرة على التنبؤ.. لا أحد يمكنه أن يرى الغد.. إن

موهبة الاستبصار لا وجود لها. المنطق البسيط يقول هذا وإلا

لكان صاحب موهبة الاستبصار أغنى وأقوى رجس في العالم.

هناك قصة قديمة لمارك توين عن فتى أمريكي استطاع أن

يعرف أن الحرب نشبت في أوروبا، وكان هذا قبل عصر

اللاسلكي والذيع والعضائيات والإنترنت. ذهب لتاجر

أصواف وأخبره بالخبر، فاشتري التاجر كل الصوف في السوق

عالمًا أن سعره سيرتفع جدًا عندما يعرف الجميع بقصة

الحرب. هكذا صار الفتى والتاجر مليونيرين. لم يملك الفتى

قدرت خارقة.. فقط شق بطن سمكة قرش وجدها على
الساحل فوجد داخلها جريدة بريطانية تعلن نبأ الحرب .
هكذا عرف الخبر قبل أن تعرفه أمريكا بشهر كامل . هل
تفهمين ما أريد قوله؟ من ير الغد يمكنه بسهولة أن يكون
الأغنى والأقوى.. لاستكثر من الخير ولما مسه الضر أبداً

قلت مقتنعة بكلماته:

- نعم.. موافقة تماماً . لكن ماذا من رؤيا الطائرة التي
لا تصفي لـ تقوله ولا تقتنع بمنطقك؟.. المشهد يطاردني في
كل ركن.. عندما أصحو من النوم وعندما أدخل الفراش . وأنا
أكل وأنا أدرس..

سألني وهو يدون ما قلت في كراس.

- لماذا لا تتجاهلين الأمر؟

تنهدت وقلت:

- ليس عندما يتعلق الأمر بأسرتي.. أختي مع
صديقاتها في شرم الشيخ . الخطر الحقيقي يتمثل في أبي

وأمي.. إنهما ذاهبان للعمرة عدة . ولهما أرسالني وأحي عند
خالي.. إنهما سيروكبان الطائرة عدداً.. هل تفهم؟

قال من دون أن ينظر لي

- لو كنت مكانك لقلت لنفسك إنني لا أفهم شيئاً . لا
أحد يستطيع التنبؤ.. لا يمكنك أن تفسدي على أبويك هذه
الرحلة الروحية الممتعة بسبب هواجس.. أرى أن تنسي
الأمر.. وخلال عشرة أيام سيكون هنا معك وبممكنك أن
تقضي عليهما هذه القصة..

نهضت شاكرة له.. لم يقل سوى ما انتويت أن أفعله ،
لكنني كنت أريد تأكيداً آخر..

لا أستطيع أن أبدأ في الصراخ والهستيري وأتوسل
لأبوي أن يلغيا الرحلة لأن يفهم سبب جنوني.. أمي تنتظر
هذه الرحلة منذ ثلاثة أعوام لنقل إنسي حمقاء . هذا هو
التفسير الوحيد..

على إتني ظلمت أدعو الله أن يحدث ما يعطل الرحلة..
دعوت الله وأن أحرم حقثبهما. دعوت الله وأنا أركب معهما
السيارة. دعوت الله وأنا في المصـر . تنظرت أن يعلن مكبر
الصوت إلغاء لرحلة بسبب سوء الأحوال الجوية، لكن
الطقس كن في أروع حالاته..

قبلهم دامة. لو كانت هذه آخر مرة فلسوف
أموت.. نعم.. لا شك في هذا..

كان الوقت عصرًا وأنا عائدة من المطار في سيارة خالي..
ظللت ساهمة شردة . لو اتضح أنني عبقرية وجاءتني الكالة
لتي أخشاها فلسوف...

خالي لم يفهم طبعًا.. حسب أبي حزينه بسبب الفراق
لذي لن يطول. طبعًا لا أحد يخبر الآخر بهواجس كهذه،
ومرية د. (محمود) هي أنه ليس من الأسرة لهذا يحكي
السكرى في لغرب قصة حياتهم كاملة لأي عريب يجلس
جوارهم في لبار، بينما روجاتهم لا يعرفن عنهم أي شيء.

في بيت حالي بدأت أخرج حاجيتي وحاجيات أخي
من الحقبة، فلسوف أقيم وأخي في ذات العرفة.. سوف
يتصل بي أبي لدى الوصول وحتى ذلك الحين سأجن قلق.
وسيكون علي أن أجن مرة أخرى لدى قرب عودتهما.

هنا بق جرس الهاتف الجوال.. دقة طويلة منذرة.

وصعت الهاتف على أذني، فسمعت (غيداء) صديقة
أختي.. صوتها متقطع من الرعب..

—إنها.. في المستشفى.. اشتباه لتهاب بالزائدة
الدودية.. لا أعرف ما...

هنا بدأت أفهم. أختي في رحلة مع الكلية في شرم
الشيخ كما قلت. وهناك أصيبت بوعكة صحية. سوف
يدخلونها غرفة الجراحة بعد ساعة لاستئصال الزائدة
الدودية.. يا للهول!.. المصائب لا تأتي فرادى!..

ولكن.. شرم الشيخ تعني عشر ساعات تقريب
بالحافلة هذا وقت أطول من لازم. خالي سمع صياحي في

لهاتف فركص ليمهم . لم يحتج إلى شرح كثير لأن كلماني
كنت تنطلق مفسرة كل شيء..

انتهت المكالمة فأغلقت الهاتف. لابد أن لوني كان
بلون الورق.. لابد أن دموعي كانت تبلل كل شيء. لا يمكن
أن تظل أختي وحده..

كان خالي مرتب التفكير.. رفع السماعة واتصل
بشركة طيران..

ثم راح يشرح لي باسمًا بييب هو ينتظر رد موظفة
الشركة

- "طائرة.. سوف يكون في شرم الشيخ خلال نصف
ساعة.. سوف نلحق بها قبل أن يدخلوها غرفة الجراحة.. لا
تلقني.. "

وسرعن ما كنت أهرع بثيابي التي لم أستبدلها إلى
المطبخ.. ولا أعرف متى ولا كيف وجدت نمسي في الطائرة
التي رحلت تنهب أرض المطار محاولة أن تختلس لحظة
ترتفع فيها .

لم ألحظ حتى هذه اللحظة أنني لم أركب طائرة قيس
اليوم. كنت أفكر في أن هذا كله كثير كثير جدًا . لا يوجد
جهاز عصبي يتحمل كل هذا القلق..

نصف ساعة أعرف بعدها مصير أختي، ثم أطمئن على
أمي وأمي.. فجأة أشعر بأني وحيدة جدًا.. حفظك الله لي ب
خالي.. فلولاك لجذنت..

مرت عشر دقائق..

فجأة شعرت بالطائرة تهتز بقوة غير عادية.. صوت
الطيار يقول في مكبر الصوت:

- "نرجو ربط الأحزمة وعدم مغادرة المقعد"

وأعلقت أنوار الطائرة مع عدد صوت الرنين المتقطع
(بييب بييب) الذي يوحى بكثرة. المضيئة تمشي بين المقاعد
مكررة:

- "كل شيء على ما يرام.. لا تقلقوا.. "

لكن صوتها مرتجف قليلاً والخوف في عينيها. لا
تنظر لما مباشرة. لاحظت كذلك أن خطواتها غير ثابتة.
الاهتزازات أقوى منها برغم أنها معتادة هذه الأمور إذن
الوضع فريد من نوعه..

نظر لي خالي وتنهَّد وغمغم.

”رَبِّهِ يَسْتَرْ..“

ثم أحد الجالسين خلفي يقول:

”محرك معطل.. صدقيني.. أنا طيار سابق.. أنا

متأكد..“

”ش ش ش!“

هنا بدأت أرتجف.. إذن الرقيا لم تكن تخص أبي
وأمي بل كنت تخصني أنا.. أنا من ستهوي الطائرة بها
إذن.. برغم كل شيء شعرت براحة.. فلأذهب أنا حيث ألفت
م د م أبواي بخير.. فقط أريد أن أطمئن على أختي. ولكن.
ما ذنب خالي المسكين؟ هل سيدفع ثمن شهامته؟.. وهل

كنت أفضل أن تكون الطائرة التي تسقط طائرة أبي وأمي؟
لحظات عسيرة مرت علينا في ظلام دامس وتوتر
وصمت لا يقطعه سوى صوت بكاء ومن يتلو الشهادات.

وفجأة عادت الإضاءة، وعاد صوت الطير يقول في مرج

”كان هناك خلل بسيط وقد تم إصلاحه.. لكن نرجو

الاستمرار في ربط الأحزمة. نحن على وشك الهبوط في مطار
شرم الشيخ“

تنهد الجميع في راحة. وتعالى الضحكات.. وسرعان

ما كانوا يبادرون الطائرة في لهفة كأنهم يخشون أن تعبر
رأيها وتقلع ثانية..

استوقف خالي سيارة تكسي وسرعان ما كنا نطلق

للمستشفى حيث كانت صديقات أختي ينتظرننا. ذهبن لأننا
وصلنا بهذه السرعة، ثم التفتنا حول البثينة المتأللة
نطمئنهن..

هنا دخل أحد الأطباء الغرفة وأعلن في حماسة:

.. "لا توجد زيادة في كرات الدم البيضاء.."

.. "وهذا يعني؟"

.. "يعني أن الزائدة غير ملتهبة هذا التهاب في
المبيض سوف يزول ببعض الحقن المصادة للالتهاب مع
لضادات الحيوية.. لا داعي للجراحة إذن"

هكذا انزاح من ذهني ثقل رهيب..

وقلت ألهمت. هناك تفاصيل كثيرة في ذهني لكنني
نسيتها.. نسيت علام ألقى بالضبط. لهذا جلست على أقرب
مقعد ورحلت أبكي. أبكي بكاء من تمرقت حبال أعصابه..
دمية المديونية التي قطعت خيوطها..

الهاتف يرن من جديد.. أستر يا رب هذا أبي يقول
لي بصوته البعيد.

.. "نحن قد وصلنا والحمد لله.. لا أحد يرد في بيت
حالك.. لقد قلقنا عليك جدًا"

طبعًا لا يستطيع أن أخبره أنني في شرم الشيخ.. مهما

فعلت قلن يصدق أن أحتي بخير هكذا قلت له إننا كب
نائمين.. كل شيء بخير.. كل شيء بخير...

قال لي خالي إن بوسعنا أن نتفره قليلًا في هذا البلد
الساحر إلى أن يجد طائرة يعود بها إلى القاهرة. لكنني رفضت
أن أترك المستشفى إلا مع أختي..

وجلست في الاستراحة جوار غرفة أختي أفكر.. واضح
طبعًا أنني لا أملك حاسة الاستبصار إن كان لها وجود. لا
يمكن التنبؤ بالمستقبل أبدًا مهما كنت موهبة المرء..

لكنني لم أعتد هذه الدرجة من الخداع من نفسي.. إما
أن أقبل هذه الحقيقة أو أنتظر في قلق رحلة عودة أبي وأمي..
أفضل بالطبع أن افترض أنني هستيرية مخبولة.

لم أعرف الحقيقة إلا عندما عدت إلى القاهرة في لند.

عندما أخرجت حاجيتي من الحقيبة وجدت رزمة من
إحدى المجلات السينمائية كنت قد جلبتها لأقراه في بيت
خالي.. هذه المجلات كانت جور فراشي في البيت وكنت

أراها طيلة اليوم. هناك إعلان ثمت على الغلاف الأخير
لأكثر هذه لمجلات عن فيلم كورث أمريكي يباع في أقراص
(دي في دي). تلك الأفلام التي تسقط فيها الطائرات بلا
توقف.. هناك في الإعلان صورة طائرة مشتعلة تهوي نحتو
المحيط..

كنت أرى هذه الصورة طيلة اليوم ولا أستوعب
كنهها.. هل لعب عقلي الباطن لعبة خبيثة معتادة ، استغل
قلقي من سفر أبي وأمي ومزج هذا القلق برؤيا الطائرة
الساقطة. أي شخص آخر كان سيتجاهل الرؤيا أما بالنسبة لي
فقد كنت تحمى نذيراً مرعباً..

لقد مرر شيء بخير، وعلي أن أقبل هذا التفسير..
أما لو لم أقبله فلسوف يكون علي أن أنتظر في رعب عودة أبي
وأمي بالطائرة..

أما أنتظر تلك اللحظة في قلق.. أؤمن أنه لا أحد يقدر
على رؤية الغد، لكني برعم هذا أنتظر في قلق.. وأدعو الله أن
يكون تفسير العقل الباطن هذا هو الصحيح.



..لا دخان من دون نار.. عندما تكثر الشعاعات فهناك

بصيص ما من الحقيقة"

تسمع كل هذا وتفكر مرة ومرتين..

كان هذا هو الوضع بالضبط عندما عاد ابن عمي من الخارج. ابن عمي (شريف) في الأربعين من عمره، وقد قضى عشرين عامًا يجمع المال بانتظار أن ينفقه في العشرين سنة الباقية له لو عاش. تزوج مؤخرًا ويحب زوجته فعلاً، لكنها لم تعد مستريحة للإقامة مع أهل زوجها، كما أنها سئمت الفراق التي ينتقلان فيها؛ لهذا طلبت مسكنًا منفصلاً.. تريده في المعادي.

أبي قال له إن زوجته مجنونة.. أسعار ضحية المعادي الراقية فلكية فعلاً.. لم يعد أحد يتكلم عن الحياة هناك، فسم يعد يقيم بها سوى الذين امتلكوا بيوتًا في العصور الغابرة الرخيصة..

لكن ابن عمي بحث وبحث.. ثم وجد هذه الفيلا..

البيت

القصة دائمًا هكذا .

يقول لك السمسار وهو ينظر لجهة أخرى كي لا تتلاقى العينان:

"الفيلا ممتازة.. موقع رائع وسعر يدير الرءوس.. بصراحة لا تصدق هؤلاء لحمقى الذين يتكلمون عن.. صدقني أن.."

ويقول لك البواب النوبي الذي يحرس الفيلا المجاورة: "أما لم أر شيئاً.. لكن القصص كثيرة.. نسمع أصواتاً في الليل لكن هذا لا يدل على شيء.."

بينما يقول لك بائع السجائر على قارعة الطريق

سعرها لا يصدق... يقترب كثيرون جداً من سعر شقة في
وسط القاهرة.. بالطبع طار قرحاً وراح يقابل هذا السمسار
وذلك غير مصدق..

كنت أعرف أن هناك شركاً ما.. بالتأكيد هناك واحد..
صارحته برأبي عندما زارنا ذلك اليوم، فقال لي:

"هكذا أمثالك ممن تفرغ الفرصة بابهم فيشتكون من
الضجيج.. هل تعرفين لماذا لم يظفر أحد بهذه الجوهرية؟..
لأنهم يقولون لبعضهم: هناك سر ما ويحجمون.. ثم تبدأ
لحلقة المفرغة الجهنمية.. لا أحد يشتري هذه الفيلا.. إن
هناك سر ما.. هكذا لا يشتري أحد هذه الفيلا.. الحلقة المفرغة
لا بد من تحطيمها في نقطة ما.. وأنا هذه النقطة.."

كان من الممكن أن أتركه وشأنه... لولا أن صديقتي
(ميادة) وهي من سكان المعدي زارتني في ذات اليوم.

كنا جالستين في حجرتي نثرثر... طبعاً تكلمني عن
خطبتي وعن حيرتها ببر (عادل) و(حمدي) وعن وعن..

عندما قالت لي:

"تلك الفيلا السكونية في آخر شارع.. الفيلا التي لا
يشتريها أحد"

صدقة غريبة فعلاً.. هكذا تربعت ودنوت منها أسألها
عن تفاصيل أكثر، فقالت:

"يبدو أن هذا حدث في الستينات.. كان يعيش فيها
مهندس وزوجته وأولاده.. لا نعرف كيف ولا لماذا جن
الرجل أو فقد صوابه.. يقال إنه قتل أسرته كلها ثم تخلص
من الجثث.. لا أحد يعرف أين ولا كيف، لكننا نعرف أنه
قتل نفسه بطلقة في رأسه.. يبدو أنه قرر أن يرتكب جريمة
كاملة ونفذها فعلاً.. ظل أسبوعاً يرغم أن أسرته سافرت وأنه
سيلحق بها بعد أيام.. لكن ضميره لم يرحمه لحظة وهكذا
قتل نفسه.. من هنا أدرك الجميع أن هناك جنث في الفيلا على
الأرجح وبدأت عمليات الحفر والتنقيب بلا جدوى.. في
النهاية أغلقت القضية وبسبب الدس الأمر.. فقط ليبتع أحدهم

الفيلا بعد أعوام..”

”وماذا حدث؟.. يمكنني أن أتخيل..”

”أنت تعرفين فعلاً لأصوات في الردهة.. الطرقات

على الزجاج.. الأطفال الذين يصرخون في القبو.. الوجه المشوه

الذي ينصق بزجاج الدفذة وينظر لك. كل هذا وأكثر حتى

أضطر أساكن لجديد إلى حمل متاعه وأطفاله والفرار.. وهكذا

بدأ رعب الفيلا..”

سألته في خبث.

”وهل تصديق هذا السخف؟”

مطت شفتها السفلى وقالت:

”كيف لي أن أعرف؟.. هذا ما يقل وقد صارت له قوة

الحقيقة..”

عندما انصرفت (ميادة) جلست أفكر في كلامها

طويلاً لو صحت القصة فأرواح هؤلاء القتلى الأبرياء ما

زالت موجودة هناك وهذا معناه أنهم مدهونون في فيلا

فعلاً.. أما لو صرنا أكثر علمية قليلاً نقب إن الطاقة النفسية

الناجمة عن العنف ظلت في ذلك المكان تتردد للأبد لو صرنا

أكثر علمية من هذا لقلنا إنها خرافة حضرية شائعة..

اتصلت بابن عمي وقلت له ما سمعت..

عاد يقول في ثقة:

”هذا سخف..”

هنا خطر لي خاطر جريء.. ماذا لو ذهبت معه إلى

الفيلا لأراها على الطبيعة؟ لو كنت هناك قوى نفسية فعلاً

فمن أجدر الناس بالإحساس به؟. أعرف فتاة نحيلة في

كلية التجارة تملك قوى نفسية عجيبة.. مشكلة هذه القوى

أنها لا تأتي حسب الطلب لكن حسب مراجعها الخاص.

في اليوم التالي كنت في سيارة بن عمي أركب في المقعد

الخلفي، وزوجته تركب جواره، مطلقين إلى المعادي..

كان السمسار هناك أمام باب الفيلا ، وقد وقف يثرثر
مع أحد لبوابين ، فلما رآنا فتح البوابة واقتادنا إلى حديقة
مهملة متشبكة الأشجار طويلة الأعشاب امتلأت بالمهملات .
"لاحظوا أن الحديقة لم تمس منذ أعوام طوال.. هذه
ليست مشكلة لأى بستاني يمكنه أن يجعلها جنة خلال
أسبوعين.."

أسرة من القطط شعرت بهذا ففرت.. سحلية وثبت فوق
قدمي وتسوارت.. ونحن نمشي عبر ممر طويي معطى
بالتراب.. هناك كانت لبناية ذاتها تفتظرونا..

مد السمسار يده وفتح لنا الباب..

الريح التي شممنها لم تكن تمت لهذا العالم.. ليست
رائحة عفن أو عطن بل رائحة قديمة . لابد أن (كارتر) شمها
وهو يفتح مقبرة توت عنخ آمون..

دخلت من لباب ومنذ اللحظة الأولى عرفت أن القصة
صحيحة..

لا شك في هذا.. انتهى الأمر بالنسبة لي.. لم ألق في
حياتي مكاناً يعطي كل هذا الحشد من الصور والرؤى
والأصوات.. كأنني في مدينة الملاهي.. أشياء كثيرة جداً
حدثت هنا..

رحت أدور حول الجدران بينما (شريف) يثرثر مع
السمسار . يسأله عن مهندس جيد يتولى أمر تجديد هذا
الكان..

أسمع الصوت يتردد في ذهني:

"ساعديني.. ساعديني.. أنا أعرف أنك تسمعين..

ساعديني.."

شعرت برجفة. الصوت يخاطبني فعلاً عبر الأبعاد
والأزمان.. هناك شيء ما..

"في العلبة.. في العلبة.."

وضعت يدي على جبهتي لأن الصداك كاد يقتلني..

استدريت لأسأل السمسار

.. "هه هناك عليه هنا؟"

بدا عليه لفهم.. قال في حيرة:

.. "لا أعرف.. لماذا تسألين؟.. اهتمام غريب حقاً.."

.. "أريد أن أرى.."

ومشيت إلى ركن القاعة نحو ممر جانبي ضيق

فدخلته.. هناك في نهاية الممر سلم حديدي شبه رأسي يتجه

لأعلى. إذن هذ يقود للعميلة لكن الظلام دامس فكيف أرى؟

مددت يدي لحقيبتي فأخرجت ان هاتف الجوال

وفتحته فبعث ضوءاً شاحباً.. لن يطول الأمر على كل حال.

تسلقت الدرجات الحديدية العمودية بصعوبة إلى أن بلغت

قمة السلم. هناك كوة معلقة أزحتها بيدي فأنفتحت. رفعت

الجوال بينما الصوت يدوي بلا انقطاع.

.. "ساعديني.. ساعديني.."

هنا سمعت صرخة.. تصلبت للحظة ثم سمعت زوجة

ابن عمي تقول بصوتها الرفيع المزعج

.. "هناك شيء.. رأيت من يعبر هذه الردهة!"

.. "أنت واهمة بالتأكيد.."

لكني كنت أعرف أنها على الأرجح ليست واهمة..

حشرت جسدي داخل الكوة فوجدت أنني في عميلة ضيقة ترغمك

على الانحناء.. سيج عكبيوت وغبار ورائحة خائفة لكن لا

فئران. شعرت بحاستي أنه لا فئران. هناك نفذة عليها ستر

كثيف في ركن المكان.. اتجهت نحوها ومزقت الستار فتسرب

بعض من ضوء النهار الشحيح واستطعت أن أرى..

هناك صناديق.. صناديق.. صناديق..

رحلت أمشي بينها متسائلة. لو صح حدسي فبقايا

الأسرة التعبة موجودة هه.. هذا هو المكان الذي تم إخفاؤهم

فيه. وهم يريدون من يساعدهم ويدفنهم. لكن كيف يفلت

شيء كهذا من كر من فتشوا لفيلا من قبل؟.. كيف لم تتصاعد رائحة؟.. منطق غريب..

يمكنني أن أراه . لا أعرف من هو ولا ملامحه لكنه شبح صبي يقف وسط المكن.. من لعريب أنني لا أشعر ذعراً.. ربما لفظة (ساعديني) جعلته يفقد رهبته بالنسبة لي.. إنه يقف جوار صندوق من لصديق.. بالتأكيد يشير له..

تجهت إلى الصندوق فشمرت بذلك الشيء يتلاشى كأنه دخان.. مددت يدي وعلمجت لنقل ثم فتحت الصندوق بصعوبة. أغمضت عيني متوقعة أن أرى مجموعة من العظام لتحللة لخرقة، لكنني لم أجد شيئاً.. مجرد أوراق..

هناك خطاب مصفر على قمة الأوراق.. مددت يدي وأمسكت به.. ثم توجهت إلى جوار النافذة ففتحته ورحت أطلع المكتوب:

~كامل.. أنت تعرف أن حياتنا صارت مستحيلة. لقد

قررت أن آخذ الأولاد معي . لا تحاول البحث عما ولا تذهب لبلدتي لتسأل عني، فمن الأرجح أنني لن أكون في مصر أصلاً. سوف أبدأ حياتي هناك من جديد وسوف أخبر الأولاد أن أباهم قد مات. آسفة جداً لكنك لم تترك لي الخيار.

سلوى

رفعت رأسي لأجد ذلك الكائن لضربي يقف هناك في ركن العلوية وقد اخترقه الصوء الحافت لتسرب من النافذة.. بالفعل يتصرف كسحابة دخان لكنها تتخذ شكل إنسان..

قلت في ذهني

~إن أنت كامل..~

~أنا كامل~

~أنت لم تقتل أسرتك. لقد فرت زوجتك والأصهار وأنت لم تبلغ الشرطة لأنك خشيت العضيحة.. ثم صارت الحياة مستحيلة فأطلقت الرصاص على رأسك.. لكن روحك لم تنعم بالراحة قط. لقد ظللت تحاول دفع التهمة عن نفسك

لكن يحسب أسرتك مدفوعة في هذه العيلا، وأنت تحاول ان تجد من يعرف الحقيقة. تريد أن تثبت أنك ضحية وليست جلدًا.. لكنهم أعبيء.. ما من أحد فكر أن يفحص هذه الصناديق ويقرأ الخطابات..

"نعم"

"أنا سأفعل.. سوف اخبر جميع أنك لم تقتل سوى شخص واحد هو نفسك، وكنت مغييب الوعي شبه مجنون عنده فعلت ذلك.."

واتجهت إلى باب العلية ونزلت في الدرج..

منذما عدت إلى قاعة الجلوس كانت زوجة ابن عمي في حالة يرثى لها من الهستيريا وكان ابن عمي متوترًا ولسمسر قلقل..

سألني (شريف) عندما رأيته:

"كلك مغطاة بالتراب والعنكبوت.. ماذا حدث؟"

"كنت في العلية.. لا عليك.. ماذا حدث؟"

"كل شيء.. ستأثر تمفتح من تلقاء نفسها.. وجه دام بعنظر عبر الزجاج. خطرت على الأرضية كل هذا حلال عشر دقائق. أما لن ابتاع هذا البيت ولو كن بملايم."

قلت له في جدية.

"بل يمكنك أن تبتاعه.. لن تتكرر هذه الحوادث

ثانية.. مالك العيلا القديم اتهم بقتل أسرته لكنه لم يفعل هذا الخطاب يؤيد ذلك. إنه يحاول لدفاع عن نفسه"

لم يكلف نفسه عناء لعنظر للخطاب وقل وهو يجذب زوجته من ذراعها.

"لا تتعبي نفسك.. لقد انتهى الأمر.. سيبن عندي

أقتل أسرته أو قتل أفرقي كلهما.. لن أقيم هنا."

وقالت لي زوجته وهي تخرج بعض المديس لورقية من حقيبتها:

"تعالني أنظف لك ثيابك وشعرك.. تبدين مثل

وقس أن أفهم كان ابن عمي يتجه للباب ومعه السمسا
لذي لم يعد لديه ما يقال.. ولحقت بهما الزوجة..

هرعت إلى الباب واستدرت أكلم الظلام ومن فيه

.. "لا تقلق.. سوف أخبر كل من أعرفه بالحقيقة..

سوف أرس الحطب للصحف كلها.. أعدك بهذا.. ولربما

يومًا ما أصير ثرية وأتمكن من شراء هذه الفيلا.. هي رخيصة

لثمن لكني لا أملك عشر ثمنها حاليا.. أعدك بهذا.. فقط

حاول أن تخلص للراحة التي تستحقها.. "

كنت أشعر بأنه راض عما أقول..

.. "أعدك بهذا.. أعدك بهذا.. "

من خلفي سمعت زوجة ابن عمي تقول:

.. "من تكلمين يا هند؟"

قلت وأن الحق بها وأغلق الباب:

.. "لا عليك.. لقد جننت.. ألم تقولي أنت نفسك إنني

أبدو كالمجانيين؟"



الندي

عمتي في حالة خطرة..

كنت أقف في مستشفى مع أمي وأختي، بشرب

جالونات من القهوة، ونلتهم أظفرنا ونراقب المرضات

اللاتي يدخلن الغرفة ويخرجن منها.. ماذا يبدو على

وجوههن؟ هل هن يتحاشين النظر لنا؟

الطبيب كذلك دخل الغرفة وستغرق بعض الوقت.. ثم

خرج.. كنا جالسات في الاستراحة فهرعت الحق به وسألته

عنها.

لم يكن يملك وعودًا.. لم يكن يملك أكاذيب..

قال بلهجة محايدة إن لحالة خطيرة لكن لن نفقد

الأمل.. طبعًا بالنسبة لي كان معنى هذا الكلام هو أن أفقد كل

أم.. لا أم..

لم أسكلم وعدت لأجلس في الاسرحة مستعدة شريط
ذكريات لا نهية له.. يوماً ما سيقف أقاربنا خارج الغرفة
لني نحتصر فيها، ويستعيدون ذكرياتهم معنا.. لا مفر من
هذا..

أين ذهبت موهبتي؟.. كما قلت هي كطفل شقي، لا
يأتي لك إلا عندما يريد هو ذلك. لا توجد قواعد ولا توجد
طريقة لإرفاقه على عمل شيء..

هكذا نمت أمي وأحتي.. ونهضت أن بعد قليل لأقف
خارج غرفة عمتي..

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.. في العادة
تكون هناك ممرضة في الخارج تمنعنا من الدخول قائلة:

”لو سمحت يا آنسة.. لدي تعليمات صارمة بمنع
الزيارة..“

نظرت إلى كاونتر لأجدها هناك بالفعل، لكنها نائمة

تماماً كطفل.. رأسها بين الأوراق والقلم في يدها كأنها لم
تستكمل كتابة ما كانت تدونه..

هكذا أطلت برأسي داخل غرفة عمتي حيث كنت
راقدة هناك في الفراش، وذلك الخرطوم يدخر قصبتها
الهوائية وعشرات الأقطاب تخرج منها كأنها أخطبوط
بشري..

هنا رأيت ذلك الرجل..

كان يقف هناك عند رأس الفراش.. من هو؟.. كيف
سمحوا له بالدخول؟

كان فارغ القامة يلبس بذلة سوداء أنيقة.. وكان يضع
يديه في جيبه ويرمق النائمة في شيء من لأسى.. رأني فرفع
نحوي عينيه.. كانتا خاليتين من التعبير..

قلت له بصوت مشروخ:

”هل أنت طبيب؟“

بدا الرعب في صوتي وضايقني هذا كثيراً.. لكنه لم

يرد . فقط بنعم ابتسامة عذبة خفيفة واتجه للباب دون أن
يظهر خلعه متسللاً . لكن ماذا يريد من عجوز تحتضر
غائبة عن الوعي؟ لا يمكن أن يكون طبيباً.. ليس من
أقاربنا.. فمن هو؟

خرجت من الغرفة واتجهت للممرضة النائمة
فهزرتها، ولم أر أثراً لهذا العريب في الرواق. رفعت نحوي
عيناً نعسة فقلت لها في نحر:

- "هذهك رجل في غرفة عمتي!"

قالت في ثقة:

- "مستحيين"

ثم نهضت معي إلى الغرفة وقمت تنظر من حولها،

ثم قالت في مزيد من الثقة:

- "لا شيء كما تريد.."

ثم سقطت عيناها على المرقاب جوار الفراش . وأيتها

تتوتر ثم هزعت إلى جهر الهاتف تطلب طبيباً . نظرت
للشاشة فرأيت خيطاً صامداً غيباً . لا أفهم في لطف لكن هذه
الرسالة بليغة جداً..

وعندما جاء الطبيب عرفت أن عمتي قد لبثت نداء
الحالق. سوف أعفك من التعاصير الأليمة لما حدث لكن
السؤال ظل يطاردني: هل فعلاً هذا المتسلل شيخٌ عجوز يموت
المريضة؟ هل يكون قد استترع خرطومًا ما أو عطل جهازًا ما؟
سألت الطبيب الذي غرق في لعرق عما إذا كان هناك
شيء ما خطأ تعقد الخراطيم وجهر التنفس وقال:

- "كل شيء في موضعه.. هذه النتيجة متوقعة على كل
حال.. لكن دعك من الخيالات . لم يتسلل أحد للغرفة. لا
شك أنك نمت وحلمت.."

لكنني كنت أعرف حوسي جيداً.. لا لم أدم. كنت
واعية تمامًا عندما رأيت هذا المشهد..

هكذا مرت الأيام السخيمة لكثيثة المعتادة. وبدأت

لحياة تعود لمجراها..

- انتبهي ! -

قالت ابن جارتنا وقد أصابه لذر من قوة الارتطام.

كانت هذه آخر كلمة سمعتها منه آخر كلمة سمعتها منه على الإطلاق، لأنه فقد حياته في حادث مروع على الطريق عندما انفجر إطار سيارته لتطير في الهواء وعندما خلصوا جسده من الحطام لم يبق الكثير منه..

يقول السينمائيون إنه لا بد من لتكرار ثلاث مرات حتى يظن المشاهد للعلاقة الغامضة بين الأحداث، وقد كان علي أن أنتظر الحادثة الثالثة لأفهم..

كان زوج صديقة لي مريضاً بمرض خطير - اعتقد أنه السرطان - في المستشفى، وقد ذهبت مع صديقتي لزيارتها والشد من إزرها..

وقعنا خارج حجرة المريض متكلم وهي تبكي بلا توقف.. هنا نظرت فوق كعب رأيت ذلك الرجل الفارع الذي يلبس بذلة سوداء يصرف من غرفته وهو ينظر للأرض كأنه

ابن جارتنا (حمدي) في الخامسة والعشرين من عمره، وهو شاب مهذب لطيف.. أقابله من حين لآخر على الدرج فينظر للأرض ويهز رأسه في لطف ثم يبتعد.. هذا كل ما أعرفه عنه. مهندس شاب يملك سيارة صغيرة.. لقد تعلم القيادة مؤخراً.. لا شيء يمكن قوله عنه..

هو ذا يفتح باب سيارته.. يراني فيهمز رأسه باسمًا..

أمر بجواره وأبتسم بتسامة عابرة توهي بالموودة المتحفة، ثم أرفع عيني فأجد بجواره رجلاً فارغ الطول يلبس بذلة سوداء... رجلاً يقف جوار باب السيارة كأنه ينتظر.. ومن الغريب أن (حمدي) لم يظهر أية علامة على أنه رأى نرجس رغم أنه يقف جواره..

استدريت في زعر أرمق الرجل.. وجهه مألوف جداً.. أعرف هاتين العينين بلا شك.. إنه هو!.. كنت أنظر للحلف فاصطدمت بعمود النور الموجود أمام البيت..

صحت في صديقتي:

"من هذا؟"

نظرت للخلف وسط دموعها وسألت:

"من تتكلمين؟"

"هذا الذي يمشي مبتعدًا في نهاية الردهة.."

هزت رأسها أنها لا تدري عما أتحدث وعادت تحكي عن معاناتها مع زوجها.. لكنني لم أنظر لأسمع بل رحلت أركض في لردهة محاولة للحاق بهذا الزائر الغامض. للأسف كن هناك باب جاني وعندما اقتربت منه كان قد اختفى. لم استطع اللحاق به عبر ذلك الباب لأنه كان يفتح على سلم مزدحم بالناس..

ومن يدري؟.. لعله لم يجتز الباب أصلاً..

أنت تعرف أن زوج صديقتي توفي في تلك الليلة. الأطباء

قالوا إن هذا حتمي ومعروف منذ البداية. لكنني لم أستطع نسيان ذلك الرجل قارع لقامة الذي يمشي قرب من ينتظرون الموت..

لم أستطع النوم لعدة أيام وأنا أفكر في معنى هذا

اتصلت بدكتور (محمود الالفي) صديقي لخلص،

وحكيت له القصة، وأنهيت كلامي قنلة

"بشيء من الخيال يمكن تصور أن هذا الزائر هو

الموت. أنا أراه وهو يزور من اختار أن يلفهم بعباءته الكئيبة"

قال مفكرًا:

"لا أحد يقدر على رؤية الموت.."

"وهل أنا كالناس؟"

"دعك من أننا نتحدث عن ملك الموت ذاته.. الفكرة

عجيبة وتمطد بالدين بشدة.. لا أصدق هذا.."

ثم فكر من جديد هسيهة وقال:

- "هناك أسطورة مجرية عن صبي رباة الموت ذاته،
وبالدلي صار قادراً دون سواء على رؤيته. وعندما كبر الصبي
صار طبيباً عظيماً علمه الموت أن يراقب سرير المريض فإن
رأى الموت يدنو من رأس المريض عرف أن المريض سيموت ولا
جدوى من المحاولة، أما إن رآه يدنو من قدم السرير فمعنى
هذا أن المريض سينجو ومن لمكن أن يبذل جهده لإنقاذه.
لنتيجة هي أن الطبيب صار الأشهر والأناجح.. كل من
يعالجه سينجو وكن من يرفض علاجه ماتت لا محالة.."
- "هذه القصة تبدو لي مألوفة.. يبدو هذا حلاً
مريحاً.."

- "ليس بالضبط. لقد طُلب الطبيب ليفحص ابنة الملك..
كانت راشعة الحسن وأحبها على الفور. هنا رأى الموت يتجه
ليقف عند رأس الفراش.. على الفور أمر الخدم بتدوير
الفراش حول الموت ثانية فدور الخدم الفراش من جديد..

هكذا ظل الموت يحاول بلا جدوى وفي النهاية اصرف عصب
وعاشت الفتاة.. "

- "هل تقترح أن أقوم بتدوير أسرة الناس؟.."
- "لا أقترح أي شيء.. هذه أساطير لا حظ لها من
الحقيقة.. لا أحد يمكنه رؤية الموت ولا أحد يقدر على
خداعه.. أعتقد أنك تخرفين يا (هند) لا أكثر.."
- "أتمنى هذا من صميم قلبي.."

- "ثمّة شيء آخر. لو كنت موهبتك تتيح لك رؤية
الموت القريب بالناس، فلماذا حدث هذا الآن؟. لماذا ظهرت
هذه القدرة فجأة؟.. أين كانت في الأعوام الماضية؟"

ووضعت السماعة حائرة... يجب أن أنسى هذا..
لكنني لم أنس وظل هذا الوجه يطاردني..
مساء الجمعة كنت في غرفتي، عندما سمعت ذلك
الأنين. هرعت لأبحث عن مصدره فوجدت أمي في فراشها

تثن وتتلوى..

.. "ماد حدث؟"

قلت وهي تمسح يدها على صلوعها من الماحية اليمنى:

.. "المررة.. لا بد أنها لمرارة. أطلبني الطبيب حالاً.."

هرعت إلى الهاتف وطلبت طبيباً شاباً اعتاد أن

يعالجهما.. صحت אחتي وأخي وجلسا قلقين يستغلران.. لو كان

أبي هنا لكان الأمر أسهل..

دق جرس الباب بعد قليل، فنظرت من المين

السحرية التي تظهر القادم.. رأيت الطبيب الشاب واقفاً

هالك ولكن رأيت خلف ظهره.. رأيت ذلك الغريب فارح

الطول..!

صرخت في جزع.. وصحت:

.. "لن أسمح له بالدخول.. لا!"

جاء صوت الطبيب الحائر عبر الباب:

232

.. "تسمحين لن؟.. أنت طلبتني بنفسك"

.. "لن أسمح لهذا القادم معك"

نظر للخلف ثم قال:

.. "عم تتحدثين؟.. هل أنت على ما يرام؟"

فتحت الباب في حذر ليسمح بمرور شخص واحد فقط.

فدخل الطبيب وهو ينظر لي في عدم فهم.. لكنني لم أعط

تفسيرات.. فقط أغلقت الباب خلفه واسترقت النظر عبر

العمسة.. ما زال الغريب واقفاً..

دخل الطبيب وتحدث معي وأعلن أنها حالة التهاب

مرارة حادة بالعمل واقترح أن نذهب للمستشفى لكنني

أصررت على ألا تفعل..

هكذا ملأ محبته وبدأ يتهيا لإعطائي بعض

المسكنات.. رفعت عيني فوجدت ذلك الغريب يقف عند رأس

المرأش.. القامة القارعة والنظرة الحاوية والبدلة السوداء.

صرخت في جنون.

233

- "لن أسمع لك!!!"

وانتزعت السكين المخصصة لتقطيع المأكهة التي كانت في لصاله وهرعت إلى الغريب وهويت عليه بالسكين.. كنت أصرخ وأرغي وأزهد كالثيران.. تملص برشاقة وتنحى جانباً دون أن يبدو علي وجهه أي تعب..

- "أخرج من هنا!!!"

وهويت عليه في اتجاه آخر.. لكنه تملص من جديد.. وشعرت بأختي ولطبيب بمسكان بمعصمي وأنا أصرخ وهما يرددان عبارات التهدة لي.. ثم فقدت الوعي..

كان أول وجه رأيته أمامي عندما فتحت عيني هو وجه د. (محمود الأنفي) العزيز.. كنت في فراشي..

كان يبتسم . وقال لي وهو ينزع المحق من ذراعي

- "أنت بخير يا هند"

مشوشة التفكير والشعر شبه نائمة، سألته بصوت

مغلق متحشرج

- "أين ذهب؟"

- "هو لم يأت أصلاً ألم تفهمي بعد أن هذا الشخص وليد خيالك؟.. لقد كان لعبء النفس ثقيلاً عليك وأنت قد عشت لحظات وفاة عمك بثقلها ومرارتها.. هكذا ولد هذا الشخص الغريب الذي لا يراه سوك.. يجب أن تصدقي هذا.."

ثم مد يده إلى كتب جور فراشي كتب عليه (أساطير من شرق أوروبا) وقال

- "أنت قرأت الأسطورة لتي حكيتها لك ونسي أنك قرأتها. لكنها ظلت هناك في عقلك الباطن تنتظر لخروج.."
قلت في تعجب:

- "كلامك منطقي لكنه غير مقنع..."

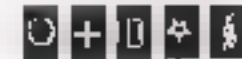
- "وأنت تخرفين.. لقد حققتك بشيء يهدئك

ويريحك.. حولي أن تنامي قليلاً

كان الظلام يترايد من حولي.. ورفعت عيني لوجه
د.(محمود) فخير لي أنه مألوف.. ليس وجهه.. منذ متى
صار فارغ القامة بهذا الشكل؟.. لماذا يلبس هذه البذلة
الغامقة؟.. إنه هو..

سوف أتم الآن.. أبزلق لهوية مظلمة.. لو لم أعد
لعلنا هذ فأن محقة وقد رأيت الموت فعلاً.. أما إذا صحت
من النوم فقد كنت واهمة..

هذا هو الاختبار الأخير لي.. فقط لأنم الآن ولنسوف
أعرف الحقيقة عن قريب.. سأعرف كل شيء..



أعطاء لعوية

الساعة الأخيرة في عمل المصرف..

يوم حار ثقيل لزج، والمصرف (ياسر) يتسهد.. إن
جهاز المكيف لا يعمل على ما يرام، وقد أبلغ الصيانة لكن
أحدهم لم يأت.. لهذا كان تعرق يغمر ياقة قميصه وبالتأكيد
كان يوسعه أن يعتصر ربطة عنقه..

لم يبق في المصرف سوى أربعة أشخاص يجلسون على
المقاعد ينتظر كل منهم سماع رقمه. ضغط على الزر طالب الرقم
الجديد.. هنا نهض نحوه ذلك الشاب ذو الشارب الكث
والمنظارة السوداء واستند على زجاج الخزنة، ووضع حقيبة
صغيرة سوداء على الكاونتر ثم قال في تهذيب

”هذه الورقة لو سمحت .“

تناول الصراف الورقة.. كانت مكتوبة بخط رديء استغرق بعض الوقت ليقرأه . ثم بدأ يستوعب فيهمهم.. كانت الرسالة بها فيها من أخطاء لغوية تقول:

”أنا أحمر في جيبى مسدس محشو.. وهو مصوب إلى رأسك.. تذكر . هناك اثنا عشر هذ وسوف يطلقون الرصاص على كل شئ يتحرك في المصرف، لو أنك استغثت أو أحدثت صخب، قم بملا الحقيبة السوداء بالأوراق الدلية من فئة المائة دولار..“

رفع الصراف عينيه ليقابل الوجه الصلب القاسي للفتى.. لا ترى عينيه لكن هذا يزيد وجهه قسوة..

ابتلع ريقه بصوت عال، ثم من دون أن يلتفت صاح

”أستاذ (إبراهيم)..“

من مكان ما جاء الأستاذ إبراهيم رئيس القسم . ونظر في عدم فهم لمرءوسه والعميل، ثم ألقي نظرة على قطعة

الورق، ومن جديد ابتلع ريقه..

هذه المرة وضع الفتى المسدس على الكاونتر ليعرفا أنه يقول الحقيقة. مسدس كبير الحجم مخيف لشكله. هكذا أصدر أستاذ إبراهيم أمراً فهرع الموظف وواحد آخر يمثلن الحقيبة بالنولارات..

لم يكن يريد مشاكل.. قاب لنفسه إن هناك احتمالاً لا بأس به أن يكون المسدس مسدس صوت لا أكثر، لكن حتى لو كان خطأ هذا الاحتمال خمسة بالمائة فإنه مقلق بما يكفي .

هكذا امتلأت الحقيبة، وعلى الفور أعلق الشاب السحاب ثم دس المسدس في جيبه وسق دار.. وقال قبل أن ينصرف:

”بعد ربع ساعة يمكنك طلب لشرطة أو الصرخ أو أي شيء.. قبل هذا لا تجازف..“

وسرعان ما كان يغادر المصرف أمام عيني رجل الحراسة العجوز الجالس في الظل يشرب الشاي.. فلم يلحظ

أي شيء غريب..

فيما بعد قال رجل الحراسة إن الشاب استقل سيارة زرقاء فيها راكب ينتظره.. وقد انطلقت السيارة بسرعة جنونية لتختفي في شارع جانبي.. لم يعرف طارها ولا رقمها لأنه لم يشك في شيء..

وعندما جاء رجال الشرطة بعد ربع ساعة، أيقن المحاسب (بسر) إن ما قاله الفتى عن وجود زملاء له في المصرف لا صحة له، لكنه عجز عن أن يجازف على كل حال.. كما أدرك جميع أن عملية سطو بسيطة جدًا وساذجة جدًا تمت لهم، وكانت النتيجة لحصول على مائة ألف.. عشر مليون دولار بضربة واحدة، والأدهى أنه ما من خيط على الإطلاق..

سأله ضابط الشرطة.

“هل لديك أرقام الدولارات؟”

قل الصراف في حيرة.

.. لا نحتفظ بكشوف كهذه..”

على كل حال عممت صفات السيارة، وبعد ساعات وجدوها في شارع جانبي. قاموا بفحصها فوجدوا إنها سيارة حمراء مسروقة قدم النصوص بذهنها بلون ازرقي.. لوحة الأرقام مزيفة.. فحص البصمات لم يجد أية بصمات لأصحاب سوابق. عرض صور أصحاب لسوابق على الصراف لم يجد.. على كل حال كان من المؤكد أن الشارب والنظرة السوداء مستعاران..

إنها الجريمة لكاملة برغم سذاجتها.. ماذا يمكن عمله؟.. الانتظار حتى يقرر لسرق إيداع الدولارات أو تبديلها؟.. ماذا لو لم يفعل قط؟

هذا هو الوقت الذي قرر فيه العقيب (سمير البنا) أن

يتصل بي في البيت..

بعد ما سألتني عن دراستي وأخبرني وكل هذه الأسئلة

لسخيفة المعناده، قال لي القصة كلها . ثم سألني عن كيفية مساعدتهم..

قلت في مرارة:

"لو كنت تعتقد أنني سألعب دور الكلب البوليسي، فأشم مكان الجريمة ثم أجري بيب لأرقة حتى أجد السارق وأنهب أنيابي في ذراعه، فأنت غائباً مخطئ.."

ضحك في الهاتف طويلاً حتى غلبه السعال، ثم قال:

"بيبي وببيك.. تمنيت لو أمكن عمل هذا.. سيكون كل شيء رائعاً وقتها.. ولكن أرجو أن تفكري قليلاً وتخبريني.."
هكذا رحلت أفكر في شيء يمكن عمله..

اقترحت عليه هاتفياً أن يرتب لي رؤية السيارة المستعملة في الجريمة، وأن أقابل المحاسب.. فوعدي بأن يرتب لي هذا..

في اليوم التالي جاءت سيرة مدنية عادية إلى شارعنا،

ورأيت وجه المغيب يطل منها . هو يعرف كراهيتي لشديده لوقوف سيارة الشرطة تحت بيتنا ونرولي لأركبهم وسط تساؤلات الجيران عما يحدث..

أخيراً وصلنا إلى ساحة السيارات التي يتم التحفظ عليها . لم يسلموها لصاحبها بعد. كنت سيارة حمراء من طراز (لا) بحالة رثة، وقد بد واضحاً أن عليها طلاء أزرق في عدة مواضع قاموا بمحوه قدر الإمكان..

جلست خلف المقود ورتبت ذهني.. أغمضت عيني..

سليبي.. لا أرى أي شيء.. لا توجد خواطر..

فقط أشعر بالشر.. الشر له وجود معنوي محسوس وقد اعتدت أن أشعر به لكن لا أعرف كيف أصفه. هناك أماكن تنفوح به.. هذا مكان شرير..

سألني النقيب عما أشعر به فهزئت رأسي.. لا شيء..

مد يده في جيبه وأخرج تلك الورقة التي كان اللص

يحملها وبولها لي أمسكت بلورق. هناك الكثير من القلق
ولتوتر، ويمكنني أن أشعر باليد التي كتبت هذه الكلمات
دات الخط الرديء.. لكن لا شيء سوى هذا...

هذه المرة ركبنا متجهين إلى المصرف.. وهناك في
مكتب المدير طلب العقيب لقاء الصراف (ياسر)، وهكذا ظهر
بعد دقائق شاب نحيل وسيم نوعاً له شعر ناعم طويل يغطي
أذنيه.. في ملامحه شيء يوحي بطفل مذعور..
قال العقيب:

- "الآنسة صحافية يهمني أمرها وهي ترغب في أن
تحكي لها قصة السطو من جديد"
صافحني لفتى وجلس.. يده ملوثة بالعرق وترتجف
نوعاً..

كان الفتى متوتراً لكنه عاد يحكي القصة منذ البداية..
أما أنا فلم أسمع ما يقول. الورقة واليد.. اليد والورقة. هذه
هي اليد التي لامست الورقة. أعرف هذا يقيناً.. لم تلمسها

لتقرأ ما فيها بل لتكتبه لو كنت تفهم ما أعنيه!!
قاطعته فجأة وقلت وأنت أفتح حقيبتي وأخرج قلماً
ومفكرة.

- "هل يضايقك لو كتبت ما أمليه عليك؟"
نظر لي في دهشة، فقال العقيب ليهمس في أذني
- "فيم تفكرين؟.. ليس الخط خطه.. هو خط رديء
جداً.."

- "أرجو أن تتركني أفعل.."
صاح المحاسب محتجاً لكن العقيب أعاد الطلب بشيء
من الحزم، قائلاً:

- "أرجوك.. هذا سوف يفيد التحقيق.."
هكذا رحت أملئ على الفتى الجملة التالية:
- "الشيء الغريب الذي حدث هو أنني سمعت صوت
ملء الكوب. وسمعت صوت آخر لن يمارق ذاكرتي ولو بعد

مئة عام

انتهى من الكتابة فمدت يدي أنناول الورقة وأنظر فيها.. رأيت قد كتب:

- "الشن الغريب الذي حدث هو أنني سمعت صوت ملاء الكوب.. وسمعت صوت آخر لن يدرك زكريتي ولو بعد مائة عام"

انتحيت جانباً بالقيبط.. وقلت له ههنا وأنا أريه لورقة.

- "هل ترى؟.. نفس الأخطاء اللغوية التي رأيناها في المذكرة الأولى.. (شيء) يكتبها (شئ) . (ملء) يكتبها (ملاء) (ذاكرة) بالرائ لا الذال.. (منة) يكتبها (مانه) وبالطبع لا ينصب المفعول به أبداً بل يسكنه.."

بتسم في مرارة وقال:

- "لخط يا (هند).. الخط.. ليس هو ذات الخط"

- "لأنه كتب مذكرة النص باليد اليسرى.. أؤكد لك أن ذات اليد كتبت الرسائل بعد هذا تلقى الرسالة وقرأها وأظهر الذعر والحيرة.."

قال ضاحكاً

- "الأخطاء اللغوية لا تدل على شيء.. كل الناس ترتكب ذات الأغلاط حتى أنا.. لا يمكن أن أقدم رجلاً للمحكمة لأنه لا ينصب المفعول به.. ثم لماذا يكتب هو المذكرة بنفسه؟.. كان بوسع أن يطلب ذلك من أي واحد في العصاة"

- "البصمات.. ماذا عنها؟"

- "بصماته على الورقة طبعاً.. ماذا تتوقعين؟.. لقد أمسك بها مراراً ليقرأ ما فيها"

قلت في إصرار:

- "كيف عرف النص أن المصرف يحتفظ بهذه الكمية من الدولارات؟.. كانت ساعة متأخرة ومن الوارد أن يقل له.. تم توريد الإيراد للخزينة الرئيسة أو شيء من هذا القبيل.. لا بد

من واحد من داخل المصرف يعرف عمل المصرف ويعرف أن
هذا المبلغ سيكون موجوداً

نظر لي في اهتمام.. ثم قال

.. "هذا احتمال مهم ولم يدور بذهننا من قبل.. لكنه

كذلك لا يعني أن المحاسب متورط"

رحبت أفكري عمق . المشكلة في حاستي هذه هي

لحدس.. الحدس ليس دليلاً في أية محكمة ولا يؤخذ بجدية

أبداً.. لا بد من دليل مادي أو اعتراف..

عدت أكرر بصوت أعلى قليلاً:

.. "الصراف متورط.. لا شك في هذا أعرف أنه رتب

الأمر مع صديقين له . كل شيء . الموعد . السيارة اللادا..

الحقيبة.. المذكرة.."

سمعني الفتى هذه المرة فنهض متجهاً نحوي..

عيده الواسعتان الحادثتان تنظران لي.. عينا الطفل .

قال بصوت مبحوح:

.. "لا أعرف من أنت يا أنيسة حقاً.. لا يهمني أن

أعرف.. فقط أنت تدمرين سمعتي ومستقلي وتقيين علي

ظلال الشك للأبد لمجرد أنك تعنفدين.. لا أعرف إن كنت

تصدقين أم لا، لكن لا علاقة لي بهذه لفصة أنا ضحية

مدعورة كادت تفقد حياتها واليوم توشك على فقدان

سمعتها. لا علاقة لي بالسطو ولا المذكرة ولا لسيارة اللادا

الحمراء ولا المذس ولا أي شيء.."

شعرت بقلبي يتمزق . هر أنا متحامية؟ من الخطأ

أن أعتمد على حاستي فلقد خدعتني مراراً . فعلاً لا يستحق

هذا الفتى الطيب ذلك.. أنا فعلاً آسفة..

نظر لنا الفتى للحظات ثم سأل النقيب:

.. "هل من شيء آخر؟"

.. "مؤقتاً لا.. عد لعملك.."

عندما غادر الصراف الغرفة قلت للنقيب:

.. "لا أدري.. يبدو صادقاً.. حاستي تثبته لكن ميني

صديقان فعلاً.. أخشى أن أكون قد تماديت.."

قل وهو ينظر إلى الصراف الذي جلس إلى مكتبه

"بالعكس.. لقد بدأت أثق بك أكثر.. لقد ذكر أن السيارة

الлада حمراء. لا أحد يعرف ذلك سوى رجال الشرطة

ولمجرمين، لأن ما يعرفه رجال المصرف وما نشر في الصحف

أنهم زرقاء.. فكيف عرف ذلك ما لم يكن موهوباً مثلك؟"

☺+0☺☺☺

الغول

نظرت لأهدابه الطويلة التي تغطي عينيه، وحديه

الشاحبين..

دنوت منه فأجفل قليلاً، ثم عدّ يحدق في يديه . يديه

المسترخيتين في حجره كأنهم طائران نائمان بلا حيلة..

صدره الصغير يعلو ويهبط بهبط..

مددت يدي ولمست خده الذعم فلم يبدأ أية علامة على

أنه لاحظ شيئاً..

قلت لهالة وأنا أمسد الخد الصغير:

"في رأيي أنه مصاب بـ autism.. التوحد.. هذا هو

قلت (هالة) وهي تصب الشاي في قنحين:

"هذا ما ضبنته حتى قال الطبيب النفسي إن التوحد يظهر في أول عامين من العمر. وله أساس ورثي قوي. هذا ليس توحدًا على الإطلاق.. هذا تأثير ما بعد الصدمة أو شيء من هذا القبيل.."

كان (أكمل) يجلس أمامي بمنظر ئيديه، ولا يبدو على الإطلاق أنه سمع ما أقول.. صعب أن تتصور طفلًا في السادسة من عمره يمر بهذه الحالة، خاصة وقد كان من أفضل تلاميذ صفه التمهيدي وأبرعهم..

هذه القصة ترتبط دائمًا بحدوث حمى محيية، أو التهاب فيروسي في المخ، لكن الأطباء بالتأكيد فحصوا هذا لاجتماع عدة مرات وأجروا رسم دماغ. لن ألعب دور الطبيب أن التي لا أعرف الفرق بين نحببة والكوليرا.. ونظرت إلى (هالة) في أسى.

(هالة) ابنة خالي الحسفاء المدللة. كانت تصغرنى

بعام، ثم ظهر لها ذلك العريس لمحمس الجاهز الذي أقنع أهلها بأن تتزوج وأن تفرك دراستها في كلية وتسافر معه إلى كندا بالنسبة لأمرتنا كنت تعتبر مخطوطة جدًا.. لكنني بالفعل غير قادرة على أن أتعامل بجدية مع شخص لم يستكمل تعليمه هناك شيء ما ناقص صحيح أن الأمومة علم في حد ذاته وأهم من أية رسالة دكتوراه، لكنني أشعر بأنني لم أأكمل بعد.. أنا مثل الرعيف لدي لم ينضج في الخبر، ويصعب أن يخرج ليؤكل لأنه سيكون عجيب يثير الغثيان.. أنا بحاجة إلى سوت من النضج قبل أن أكون مسئولة عن بيت وأطفال، وهذا النضج يحتاج إلى تعليم وخبرات

بعد أعوام عادت (هالة) محبطة حزينة، ومعها صغيرها الجمير الذي تحول إلى نبات مهد الشكر.. تقريبًا لا يتكلم.. لا يبذل أي جهد في الأكل أو الشراب، ولو لم يمس أحدهم الطعام في فمه لما أكل لأبد. لأطفال يلعبون ويصخبون

لكنه جالس هكذا ينظر ليديه.. لو عرضت أمامه كل أفلام ميكي ماوس وباربي وسلاحف النينجا لما كلف خاطره بأن يرفع عينه ليرى ما هناك..

جدير بالذكر أن الأطباء الكنديين فشلوا تمامًا في فهم ما صاب لطف، وعادت (هالة) إلى مصر لأنها لم تعد تطيق كندا..

زوجها لم يستطع ترك عمله هناك، لهذا سمح لها بأن ترحل لمصر..

ما حدث للزوجة بعد ذلك هو السيناريو المعهود.. أطباء نفسيون.. مشايخ.. الشيخ الفلاني يمكنه شفاء الأطفال عن طريق شرب عصير البمل.. هناك جنني كافر يتسلط على ابنك.. يقولون إن لدغات النحس قدرة على.. مريخ من العيس وحبّة البركة صباحاً قد..

في النهاية قالت (هالة):

..الحمد لله على أنه حي وسليم الجسد.. سوف أعنى به وأمدحه كل شيء، وأعتقد أنه سوف يجتاز هذه العقبة.. " وعادت تمارس حياتها بشكل طبيعي، وإن لم تجد الشجاعة بعد كي تعود إلى كندا هناك الإمكانيات الطبية أوفر، لكن هنا يبدو الناس أكثر ألفة والأمور أسهل.. زرت (هالة) أمي وأختي، وهو شيء اعتدنا عمله كل أسبوع..

كانت محاولات اتصالي بالطفل فشلة دوم.. إنه يتعامل معي كأنني ذبابة.. فقط ينظر لي، النظرة الأولى ثم ينهمك في تأمل يديه..

سألت (هالة) وأنا اجلس القرفصاء أمام الصغير: "هل بدأ كل شيء فجأة؟" أعني.. هل صحوته يوماً فوجدت الأمر كذلك؟

يصعب على المرء أن يتكلم براحتة في هذا الموضوع.

لكنها كانت قد تأقلمت فعلاً، لذا قلت في بساطه وهي تقدم لي الشاي:

- "لا شيء. نام ليلته في غرفته الصغيرة وكان سعيداً راضياً. في الصباح وجدته بهذا الحال.."
- "لم يحدث شيء ليلاً؟"

- "لا شيء.. هل تحسبن أن الأطباء لم يسألونا ذات السؤال ألف مرة؟"

دنوت من الطفل أكثر ولست يده.. إنني أرى جداراً عظيم يحيط به. جداراً يمعني من الوصول له، وهو الذي بنى هذا الجدار لنفسه..

وجاءت الاختراق.. لقد امتحت فجوة صغيرة في الجدار، فرتجفت ووثبت للحلف.. كان ما رأيته مرعباً فعلاً. رأيت غرفة هادئة لونها أزرق. كل شيء فيها أزرق. ستائر زرقاء. ملاءات زرقاء.. سقف لبني يوحي بالسماء. خزانة ثياب زرقاء.. دمي.. ألعاب..

الإضاءة خافتة هادئة.. ثم.. هناك شيء يخرج من الجدار.. شيء عملاق مخيف لا أعرف ما هو، لكنني لا أريد أن أراه بوضوح..

رباه! إنني أشعر بذات الذعر الذي شعر به الصغير.. أشعر به.. كل ذرة في جسدي تستفض. كسر عصب ينبض بهجنون..

لا أعرف ما حدث، لكنني كنت على الأرض بينهم (هالة) أصبح في دهشة.

- "ماذا هناك؟.. لماذا تبكين يا حمقاء؟.. ولماذا سكبت الشاي؟"

لم أرد فقالت في عصبية.

- "أتوقع من الناس أن يساعدوني، لا أن يأتوا ليظهروا حسرتهم وأسفهم.. هذا لن يفيدني في شيء، فإن عرف حجم مصيبتني"

قلت لها وأنا أسعل

-لا.. ليس هذا تأثيراً أقسم لك.. فقط شعرت للحظة أن رأسي خفيف جداً وأن وعيي يتسرب.. "

ورحت أحاول تنظيف البساط بمنديل ورقي مما أسقطته عليه من شاي..

كنت نظرو إلى (أكمل).. هذا الصغير رأى شيئاً مخيفاً . شيئاً فوق قدرته على التحمل لذا انسحب إلى عالمه الداخلي..

عندما عدت لداري أغلقت العرفة علي، ورحت أنظر في الظلام مفكرة..

الآن أعرف أن موهبتي تحركت، وقد استطاعت أن تلتقط شيئاً مما رآه الصبي.. الأمر واضح.. لكن ما الذي رآه فعلاً؟

لصراً؟ لو دخل لص الغرفة لترك فجوة وآثاراً واضحة..

عريت؟.. كل العماريت تشق الجدار.. لكن بلطبع لست على استعداد لتصديق هذا الهرء، حتى لو كان هناك ألف خبير مستعد لتصديق هذا..

ولكن لم لا؟ . خبراتي تؤكد أنما لست وحيداً في هذا العالم.. يبدو لي أن هذه العرفة مزودة فعلاً بالكائنات التي لا نراها. هل رأى الصبي شيئاً من هذا وأصابه الذعر؟.. لماذا هو بالذات؟

بهضت إلى الهاتف واتصلت بـ (هالة) مع إن لوقت متأخر:

-هالة. هل صرخ (أكمل) أو استغاث في تلك الليلة؟
-ليلة ماذا؟

-هل جننت؟.. لا توجد ليال كثيرة كما تعرفين
قالت وهي تتنهد:

-في تلك الليلة لم أكن في البيت.. كنت في المستشفى

جراحة نسائية بسيطة، لكن الأطباء طلبوا أن امضي الليل في المستشفى. أبوه هو من حكى لي في الصباح أنه كان سعيداً راضياً عندما دخل الفراش.. في الصباح وجدته صامتاً غريب الأطوار، فتركه وجاء بي من المستشفى.. وعندما وصلت بدوري أدركت أن الأمر الخطر من غرابة أطوار..

في الصباح قصت دار (هالة).. كانت مندهشة من اهتمامي المفاجئ.. لكنني لم أقل الكثير.. اتجهت لغرفة (أكمل) ونزعت حذائي لأجسس القرفصاء على فراشه، ووضعت يديه الصغيرتين في يدي..

”ماذا تفعلين؟.. هل تلعبين (اليوجا)؟“

”أكون شاكراً لو خرس قليلاً“

وأطبقت على يد الغلام وأنا انظر في عينيه.. عينيه اللتين لم يرفعهما نحوي قط..

نعم.. المشهد يتكرر.. الجدار ينشق ويظهر ذلك

الوحش العملاق.. ليس عولاً ذا حافرين وأنياب ومخالب لكنه مخيف فعلاً.. الكابوس ينتهي بخروجه فلا أعرف ما حدث بعد ذلك قط.. فقط أشعر بذات الخوف والرعب..

له وجه مخيف.. نعم.. شعر شبيهة بلبدة الأسد ثائر منتصب.. أنف غليظ.. عيان ذهبتن مشعتن.. أراه بوضوح تام..

سألت (هالة) وأنا استجمع أعصابي كي لا أفقد وعيي ثانية

”هل غرفة (أكمل) زرقاء اللون؟“

نظرت لي في دهشة ثم قالت:

”هل تتصلين بلجر؟.. نعم هي زرقاء جميلة جداً وقد

أعدتها بنفسي.. كيف عرفت؟“

”خمنت.. هل عندك صور لها؟“

هزت رأسها ثم اتجهت إلى جهاز كمبيوتر في ركن

أغرفه، فمحتته.. وفتحت ألبوما من الصور الرقمية.
وشرعت تعرض علي مجموعة من الصور الجميلة لأكمل يلعب
في عرفته . يلاكم أبه.. يأكل.. يشاهد مجلات مصورة. الخ .

ثم بدأت مجموعة صور لحفل عيد ميلاد.. هناك
مجموعة من الكبار وأطفال مرعجون لا يكفون عن الصياح
والتواهب.. صور مملة كالعادة ومتشابهة..

ولكن.. أوقفني العرض..

هذه الشقراء..

="من هي؟"

="اسمها (كاري ديفيرو). جارتنا. امرأة لطيفة
نوعاً.. غير متزوجة.. لماذا تسألين؟"

كنت أنظر إلى الشعر البشّير الشبيه بشعر الأسد.
لعينين الذهبيتين . الأنف الغليظة.. هذه امرأة غير هينة..
امرأة مزعجة تجلب المناعب حيثما كانت، والأخطر أنها
نشبه ذلك الفول جداً.. ما معنى هذا؟

هل يمكن أن اجعل (أكمل) يلقي نظرة عليها؟ لا..
هي مخاطرة كبرى وأنا لست طبيببة نفسية لأتخذ قراراً
كهذا..

="هل أنت سعيدة في زواجك يا هالة؟"

كنت أشعر بالإجابة قبل أن ترد، لكنني ابتلعت
ريقها وصمتت قليلاً ثم قالت:

="لا.. بصراحة.. (يوسف) عاش طويلاً في كندا
وصارت له طباع تختلف عن طباعنا، وقد حسبت أنني
سأعود لكى الأمر يشبه أن تتوقعي أن تنشأ علاقة طيبة بين
دجاجة وأرنب.. كلاهما من طراز مختلف تماماً.. لا جدوى
من التأقلم.."

وساد صمت ثقيل..

كنت أفكر. لقد هبط علي الجواب فجأة كأنه الإلهام..
(كاري ديفيرو) الكندية اللعوب والجارة.. الزوجة
(هالة) في المستشفى تجري جراحة. الزوج والظفر وحدهما

في البيت لطم راسه.. هكذا وقع شيء ما، والمشكلة هي أن الصبي استيقظ في لحظة غير مناسبة فمادى رأى؟ . عقله لهرىء لم يستوعب شيئاً.. فقط استقر في ذهنه منظر (كاري) وقد تحولت إلى غول مخيف يخرج من الجدار ليلتهمه.. يلتهم سلامه الأسري واستقرار بيته..

في الصباح كانت الصدمة عيفة جداً فلم يعد يتكلم ، وبنى هذا الجدار الشامخ حول نفسه..

قلت لها: وأنا أغلق جهاز الكمبيوتر:

- "لست مطمئنة لبقاء زوجك وحده في كندا هناك من سوف تحسن التلاعب به.. مثلاً تلك المرأة (كاري).. لا تطمئني لها كثيراً.."

نظرت لي في شك وقلت:

- "هل صرت عاملة بالعبث فجأة؟.. أنت غريبة الأطوار

ليوم "

- "فلنقر إنه حذر أنثوي.. "

ولم أقل أكثر وانصرفت بسرعة قبل الوقوع في أسنة محرقة..

بعد يومين عرفت أنني كنت على حق على طول الحظ. جاء صوت (هالة) عبر الهاتف بشي بأنها بكيت كثيراً جداً.. كانت تقول:

- "نعم.. لم أقل هذا الكلام لأحد حتى أمي. زوجي يحب تلك المرأة ويميل لها، وصديقة من هناك تخبرني أن علاقتهما صارت حميمة بعد عودتي لمصر.. اعتقد أنك متجهار إلى الطلاق لا محالة.. قلت لك إن الدجاجة والأرنب لن ينسجما أبداً.. "

قلت لنفسي: المشكلة أن يكون الأرنب خائئاً كذلك..

ثم قلت لها بنبرات واضحة:

- "اسمعي.. أن أعرف يقيناً أن زوجك على علاقة بهذه

ال (كاري).. اينك شعر بشيء من هذا وهذا سبب صطرابه .

أنا فاقته

عرفت منذ اللحظة الأولى ما سيقوله د. (محمود
الألفي) وامتلات قلقاً..

لا أعتقد أن نوهبني دوراً في هذا، بل هي الفريزة
الانثوية أو الحاسة السادسة أو ما شئت من أسماء.. لأشئ
التي لا تتوقع شيئاً كهذا ليست جديدة بلقب أنثى.

كنّا جالسين في مكعبه وكسر يتكلم عن
(الباراسيكولوجي) كالعادة، ويحكي لي عن خبراته في هذا
المجال، ثم تغيرت نظرة عيه واختفى ذلك الصفاء منها،
وأدركت أنه يفكر في شيء آخر . هذا التغير ترجمته على
الفور إلى أنه يعتزم قول..

عليك أن تعرضيه على طبيب نفسي وتخبريه بأنه تعرض
لهزة نفسية قوية تتعلق بإخلاص أبيه لأمه.. "

ثم أردفت بلهجة غامضة:

-"أما عن علاقتك بزوجك فهذا شأنك. كل ما يعنيني
أن يشفى ابنك "

كدت تلقي المزيد من الأسئلة الفصولية لكنني أنهيت
المكالمة في عصبية.. فقط قلت لها مفسرة:

-"شعرت بأن هذه المرأة غير مريحة على الإطلاق..
كانها.. كأنها فول!!!"



قلت على الفور:

ـ"د.(محمود).. من فضلك لا تقلها.."

نظر لي في دهشة ثم في فهم. وبعد لحظة مراوغة

استسلم وقال:

ـ"لم لا؟"

ـ"لو قلتها فلن يبتى شيء كما كان، ولنسوف تصير

لحياة بالغة التعقيد.."

ـ"وهل يوجد مانع عندك؟"

ـ"لهذا أرجو ألا تقولها.. لا أريد أن أطلب بالتفسير"

كنت أعرف بيقين الخطبة التي سيلقيها حالاً. أنا

أحبك ي (هند) وقد صرت الحياة عسيرة من دونك.. أعرف

أن فرق السن هائل لكن هناك تجارب كثيرة مماثلة

ونجحت.. إن النضج أهم شيء في الموضوع وأنا واضح. الح.

طبعاً هناك ألف سبب للرفض، لكن السن ليست

السبب الأول.. صحيح أنه في الأربعينات من العمر وأنا في

العشرينات، لكنه يبدو شاباً وسيماً ولا مشكلة هناك..

السبب الأهم هو أن العلاقة بين متحابين ليست بالبساطة

والتلقائية التي تميز علاقة صديقين. لن أتصل به بهذه

البساطة أطلب رأيه. لن آتي لكتبه بهذه التلقائية.. لن أكلم

أمي عنه ببراءة كل شيء سوف يتعير. الخطبة ومشاداتها

التي لا تتوقف.. إنه في نفسي أروع من هذا وأهم.. لزوج

والخلافات والزوج الغاضب الذي يقف بالندمة غير حليق

الدقن حاي القدمين على باب الحمام ينتظر دوره.. لا، هو

أسمى من هذا..

إنني احترمتك كثيراً لهذا اخترت لك دوراً أفضل. دع

هذه الأدوار السخيفة لشباب أصغر سنًا وأقل مهابة منك

أرجوك..

نظرت في ساعتني ثم أعلنت أنني سأنصرف..

قال لي:

- "هل عرفت حقاً ما أريد قوله؟. كنت سأطلب منك أن تراجعني كتاباً جديداً لي.. "

اهتسمت.. طبعاً هذه أكذوبة، فقط هو يحاول أن يثبت لي إنني مخطئة، بينما أن متأكدة مما شعرت به.. لا مجال للخطأ سواء لهند ذات القدرات الحسية أو المرأة التي تشعر بهك شيء..

قلت له في خبث:

- "طبعاً.. هذا هو ما خمنت.. لهذا طلبت ألا تقولها لأنني لا أجد في نفسي القدرة على القيام بهذا.. "

تنهد في ارتياح وقال:

- "كما تشائين.. سوف أراجعه بنفسي"

هكذا نزلت في الدرج حائرة.. لم أحب أن أمر بهذا الموقف ولا أريد أن أؤذي، فهو نصحي . أو my mentor كما يقول العربيون. ما كنت لأجتاز غابة القدرات الخارقة المخيفة هذه من دون عون. وبفضله صرت عضواً مفيداً في

المجتمع ولم أعد أرتجف خوفاً من نفسي..

عدت لداري شاردة صموثاً، وسألتني أمي عما بي فقلت لها: الحر.. لم تقتنع لكنهم عرفت على الأقل أنني غير راغبة في أن أتكلم..

تناولت الغداء وتأهبت للنوم، عندما دق جرس الهاتف..

كان هذا هو العقيب (سمير البنا) ضابط الشرطة الذي يطلب رأيي في القضايا المستعصية.. قل لي بصوت مبحوح - "هند، اعرف أن الوقت مزعج، لكننا بالفعل نرغب في حضورك.. "

تنهدت في تعب وقلت:

- "سيارة مدنية؟"

- "بالتأكيد.. "

سوف تأتي سيارة مدنية لتقلي، لأنني لن أجد سيارة

أجرة في هذا الوقت، ولأتني لم أعد أتحمل قدوم سيارة الشرطة لأستقلها وسط نظرات الجيران المتسائلة، وهمساتهم "لقد خدعنا فيها.. واضح إنها فتاة من إياهم وقد لاقت جزاءها!!"

عدت أسأله:

"ماذا حدث؟"

"فتاة مخطوفة.. لن تبحتني عنها لأنها عادت فعلاً..

المطلوب منك..."

قلت له في نفاذ صبر:

"أعرف.. أعرف.. التأكد من أن قصتها حقيقية

صادقة."

"هو كذلك.."

وفي الطريق في السيارة التي جاء يوصلني بها، حكى

لي القصة..

(مها فوزي).. طالبة في كلية الآداب. خرجت منذ يومين لزيارة صديقة لها واستقلت سيارة أجرة الساعة الثالثة بعد الظهر، لكن السائق لم يوصلها حيث أرادت. انطلق كالمجنون في الشوارع وفي شارع جانبي اقتحم السيارة رجلاً قاموا بوضع منديل مبتل على أبعها فغابت عن الوعي.. عندما أفاق كانت في بنائية مهجورة خارج المدينة. كانت وحدها فتمكنت من الفرار وعرفت أنها في الجزيرة.. هكذا تمكنت من العودة لدارها..

"وما الذي لا يريحك في القصة؟"

قال وهو يحك رأسه:

"كل شيء.. الفتاة لم تُمس.. لم يُمس مالها ولا

عرصها فلماذا خطفوها؟ لم يطلب أحد فدية.. موضوع

المنديل المبتل هذا يحدث في السينما لكنه غير ممكن في

الواقع.. القصة كلها غير مريحة.."

دخلنا مكتبه في قسم الشرطة، وهناك كان ثلاثة من

الصباط يجلسون وأمامهم فتاة دامعة في سر الكليات ومعها
أبوها المدهول الغاضب.. كن يردد بلا توقف:

— "ثم يعد هناك موضع آمن في البلد.. لا أعرف ما
تقومون به أصلاً.. ما دوركم؟"

قال لنقيب وهو يجلس خلف المكتب ويجرع جرعة
من الماء من زجاجة.

— "سوف نجد هؤلاء النجوم يا سيدي.. ثق في هذا.."

ثم أشار لي كي أكلّم الفتاة.. نهضت وجلست جوارها
فأجفلت، لكي أعطت كتفها مذرّاعي بطريقة فتاة تريد أن
تطمئن أختها، ونظرت في عينيها..

كاذبة.. كاذبة.. لا شك في هذا...

هذه (علاء).. هناك شاب وسيم لا يقبل أهلها به..

(علاء) وزواج عوفي.. (علاء) يطالبها بالفرار معه ليتزوجا
بشكل رسمي.. الفرار.. الدم.. الحيرة.. بعيداً عن البيت لمدة

يومين.. لابد من العودة... لكن لابد كذلك من تفسير
والتفسير هو قصة شائعة عن سائق الأجرة الذي اختطفها..
لن يعرف أحد شيئاً..

قلت لها وأنا ابتسم.

— "هل تمكن (علاء) من بيع جهاز المحمول بسعر
معقول؟"

نظرت لي في دهول وتوحش وهدفت:

— "عم تتكلمين؟"

— "بالطبع اضطررت لإعطاء المحمول لعلاء كي يتخلص
منه.. ما كان يمكن أن تعودني به وتستقيم قصتك.."

رأيت الأب يتصلب وتتسع عيونه.. هو يعرف الاسم
ولديه شكوكه الخاصة إن..

هنا استدريت إلى النقيب وقلت بلهجة من يلقي حقيقة
لا شك فيها:

- "اسمه (علاء) . ثم يختطفها لكنه سيعترف لكم بكل شيء. بعد يومين من فراره قرر أن الخطأ مستحيلة لتنفيذ.. "

نهض الأب وانقض علي وقد تحول إلى ثور آدمي غاضب:

- "من أنت؟.. أمرك ان تخرسي!!"

وقبل ان ينبعني استدأر وهوى بصفعة مدوية على خد الفتاة.. قبل أن ينقض عليه الضبط لمنع من التمادي.. وجروا لاثنيين خارج الغرفة..

نظر لي النقيب (سمير) باسمًا وقال:

- "لقد حللت لي المشكلة.. كنت أشك في شيء كهذا لكن إثباته كان صعبًا، والآن من الواضح أن الأب والابنة سيتكلمان كثيرًا وسوف تتضح الحقيقة.. خطوة كهذه أعفتنا من أشهر من البحث عن سائق سيارة الأجرة المزعوم.. "

ساد الصمت، فقلت له

- "هل بوسعي العودة لداري؟"

- "بالطبع.. سأوصلك.. "

وهنا لاحظت أن نظراته غريبة.. لقد شرد قليلاً ثم سافر ذهنه إلى أراض غريبة.. يمكنني أن أحمن ما يفكر فيه الآن.. سوف يقولها..

قلت في توتر:

- "يا الله عليك.. لا تقل ما تنوي قوله.. "

نظر لي للحظة ثم تنهد وقال:

- "ماذا أنوي قوله؟"

- "لا تقله والسلام.. أكره أن أضايقك.. "

ساد الصمت من جديد وبدأ عليه نوع من الضيق. كانت سنه مناسبة وهو وسيم فعلاً لكني لا أريد.. لا أعرف السبب لكني لا أريد..

ماذا حدث لي؟.. لماذا تحولت إلى فاتنة رجال بهذه
السرعة؟.. كلهم يقع في عرامي وأنا لا أعرف السبب ولا أريد
هذا لجوي ماذا؟.. أنت لم تقل شيئاً
وفرت بسرعة قبل أن يقول أي شيء..

في غرفتي رحت أتأمل صورتي في المرآة. نفس الوجه
ونفس الملامح. ربما أكثر أنفة في هذا الثوب، لكن هذا لا
يعني شيئاً.. هل أنا أطرف؟.. أذكى؟..

ثم خطرت لي فكرة رجاجة لعطر التي أرسلتها لي
صديقتي المقيمة في فرنسا. هذا العطر اسمه (أنوثة) وترعم
لعبت على لزجاجة أنه لا يقاوم وأن الرجال
سيلاحقونك عبادة دعائية سخيفة لكن الحقيقة هي أنني لم
أستعم هذا العطر إلا اليوم. هل هذا العطر يعمل فعلاً؟.
هل له خاصية لا يعرفها من صبعوه؟. هل يؤدي عمل
الفريموذات التي تذهب من الحشرات؟

دخلت أختي العرفة لتجلب شيئاً ما، ثم توقفت

ونظرت لي.. قالت ضاحكة.

-لشد ما أنت فاتنة اليوم!.. ليتني كنت رجلاً لأطلب
يدك. إن الرجال محظوظون فهم يغورون بالجمال في
النهاية، بينما نفوز نحن بزواج قبيح يثبت في أصابع قدميه
طيلة الوقت!

ثم مطرت لي في دهشة وأن أنجه إلى الحمام وسألتنني
-ماذا تفعلين؟-

قلت وأنا أفتح الغطاء الزجاجي.

-أسكب هذا العطر في البالوعة.. أنا أمقته ويبدو أنه
سوف يسبب لي مشاكل كثيرة، ولن أعطيك إياه لأنه سيسبب
لك مشاكل أكثر. أنت تعرفين أنني أملك حاسة سادسة لا
تخطئ.. صدقيني في هذا.. "





الكلاب تعرف أكثر

لم تكن تجاربي مع الكلاب رائعة قط.

معظم هذه التجارب يتلخص في مشهد واحد: أما واقعة وظهري للجدار أصرخ، بينما كلب عال شمع غاصب يزوم بلا «يفزع من بين أسنانه وشعر عنقه منتفش، يقطع علي الطريق.. هناك درجات لعواء الكلب، لكن أسوأها ذلك الروام لخافت المنذر بالويل..

هنا يظهر أحدهم ملوحًا بعصا ويطرد ذلك الكلب المتمرد وأتفلس لصعداء هذه هي علاقتي بالكلاب وهي علاقة ليست جميلة جدًا كما ترى..

ماذا عن الاتصال النفسي؟.. لم يحدث قط، وهو لغز غريب.. خيل لي يومًا أنه من السهل الاتصال بالحيونات العجماء لأن قواها النفسية قوية، ولأنها أرواح فقط لا يحمي حقيقتها تفكير عاقل، لكنني دائمًا محبطة في هذا..

فشنت في الاتصال بالقطط أو الكلاب أو الأرانب أو الخيول.. خيل لي ذات مرة أن بوسعي الاتصال بدجاجة مذعورة ثم عرفت أن هذا مستحيل.. إلى أن جاءت القصة التالية..

كنت عند خالتي . إن لديها خمسة أطفال هم أقرب إلى الشياطين، وقد قضينا وقتًا مزيجًا من الممتع والعصيب.. المجاملة كذلك تجعل لحظات حياتك أصعب، عندما يقذف أحدهم بالكرة في عينك، فأنت لا تجرؤ على صفعه أو إلقائه في الشارع من النافذة، ويتم تبسم لأن خالتي ستصيق لو فعلت ذلك، وعندما تتصيق خالتي تتضايق أمي..

كان أخي يلعب معهم . وكنت أمي تثرثر مع أختها، عندما انفتح الباب ودلف ذلك الشيء المرعب..

كلب!.. لقد اقمنا كلباً أخيراً، وهو شيء غير مفهوم خاصة مع مساحة شقتهم شديدة الضيق.. هذا الكلب يحتاج إلى مزارع واسعة ممتدة يرمح فيها ليصطاد البشر..

أحاط الأطفال بالكلب وراحوا يشرحون لي كيف أنه مسالم ودود . فقط علي ألا أبدي زعراً أكثر من اللازم فهذا يوتره وقد يقضم ذراعي كلها..

- "ما اسم هذا الشيء المفزع؟"

- "اسمه (میلو)"

كان صموئيل بالفعل، وقد قررت أن أتخاشع قدر الإمكان لكنه من الطراز كثير التدخل الذي يعقدت أن يكون وحيداً، لذا كنت أجلس إلى المائدة لأشعر بشيء يلحق ساقبي أو يشم قدمي فأجف.. عندها يقول لي الأطفال:

- "حاولي ألا تثيري أعصابه بهذا التوتر.. الكلاب

حساسة جداً"

كأنني لا أملك أي نوع من الحساسية، وكأنني يجب أن أظل صامتة بينما هذا الغول يلتهم ساقبي..

في نهاية اليوم أعلنت خالتي خبراً ظريفاً.. إن زوجها قد ابتاع أرضاً صحراوية في منطقة (وادي البطرون)، وهو يلح عليها أن تذهب معه والأولاد لقضاء يوم هناك..

- "سوف تأتين معنا.. سوف نستأجر سيارة (فان)

تتسع لهذا العدد"

قالت لها لأمي في مرج، فوافقت على الفور.. كن في الإجازة الصيفية ولم يكن هناك ما يشغلها أو يشغل أختي أو أخي..

صاح الأطفال في مرج:

- "سوف نأخذ معنا الكلب.."

كأنت خالتي مترددة طبعاً، لكن الفكرة لم تهد سيئة.. الكلب البائس بحاجة إلى مساحات يركض فيها، ومن العسير

تركه وحده في الشقة يومًا كاملاً لأنه سيدمر كل شيء..

الرفض الحقيقي كان من جهتي أنا.. لن اقضي يوماً كاملاً مع هذا الشيء، لكن أسي أقنعني أنه سيكون في عهدة لأطفال ولن يضايقني في شيء.. إن بشرتي شاحبة وبحاجة لي بعض الشمس.. الخ..

حسن.. هكذا تبدأ الكوارث..

لو رغبت في قضاء يوم ممتع في الصيف، فلا تذهب لوادي النظرون من فصلك.. سوف تحرق الشمس كل خلية في جسدك، ولن تعرق أبداً لأن الشمس ستحرق كل خلية عرق في جسدك.. سوف ينسف الصداع مخك نسفاً، وسوف يدخل لهواء الساخن إلى رئتيك فيحرقهما.. دعك من الذباب.. الذباب الصحراوي لمربع الذي يحاول أن يقضم قطعة من لحمك..

كنت مرهقة جداً ومتعبة في السيارة الفان.. وقد لحقت بد سيارة نصف نقل يركب فيها زوج خالتي مع سائق، لأنه

يموي نقل بعض الأشياء من هذا المكان. بلغنا بيت الميعاد في الصحراء، ولا أعرف سبب الحماسة التي تدعو إنساناً لشراء أرض وسط هذا القفر..

كان البيت قد بيع مع الأرض، ويخسر ملاك الأرض السابقين الذين --- طبعاً --- أخذوها بوضع اليد. مجرد بيت صغير من طابق واحد بنى من قرميد أحمر، وله باب خشبي مخلق وعدة نوافذ يبدو كأنها لم تفتح منذ دهور..

كنت أتوق للدخول مكن ظليل واحد في هذا العالم. العربة ظليلة لكنها جمعت كل حرارة الكون داخلها وهي غير مكيفة عالج زوج خالتي الباب الخشبي فانفتح، ومن الداخل تصاعدت رائحة عطن ورائحة أثاث قديم.. قل لي باسمًا:

--- لا تدخل على العور.. تمهلي.. "

قلت له لاهثة.

--- لست ممن يخافون القنران.. "

قل وهو يدق الباب يقدمه.

"من تكلم عن العثران؟ أتكلم عن الثعابين والعقارب

طبعاً! "

دخبا البيت بحذر، وكان الروح قد زاره عدة مرات، فلم نتوقع مفاجآت بشعة هناك في المدخل (أنقريه) عتيق يبدو كأنه يمت لأربعينيات لقرن الماضي. لا توجد سجاجيد ولا معروشات طبعاً، لكن هناك الكثير من الخشب بحالة معقولة.. وقد فتشنا المكان بعناية بحثاً عن مفاجآت غير سارة فلم نجد شيئاً..

خرجت من البيت للحظة، وتركتهم بالداخل.. هنا وجدت مشهداً مقلقاً..

الطفل الأصغر يجذب الكلب من طوقه ليرغمه على دخول البيت، وكلب متحفز يحفر الأرض بمخالبه كي لا يدخل. كان شعر عنقه متصلباً وشعر ذيله منتفشاً وثمة حالة من التوتر العام.. بالطبع هو أقوى من الصبي وأثقل لذا لم

يستطيع تحريكه..

لماذا يرفض الدخول بهذا الإصرار؟

دنوت منه في حذر، ونظرت في عينيه العبرتين.. كل عيون الكلاب معبرة جداً.. حاولت أن أفهم ما هناك لكنه لم يحبني قط. كاد يقضم يدي وأطلق زمجرة مخيفة، فقال لي الطفل:

"التهدي يا (هند) عنه.. هو لن يعصني لكنه لا يثق بك.."

هنا ظهر زوج خالتي فسألته عن سبب توتر الكلب، فقال بلا مبالاة:

"لقد دربناه على عدم دخول أي منزل غريب.. يجب أن يكون برياً.."

ثم نادى سائق السيارة نصف النقل وبدأ ينتخب بعض قطع الأثاث لتحميلها على لسيارة. سألته عن السبب فقال إن بعض قطع الأثاث ثمينة يمكن أن تكون أنتيكات حقيقية، فقط تحتاج إلى نجار بارع وحرفي دهن خشب أكثر براعة.

..سوف ترين قطع الأثاث هذه بعد تجديدها.. تحف

هنية

ثم نقر كل شيء وتناولت وجبة سريعة، ثم لعب
الأطفال لعدة ساعات مع الكلب الذي بدأ يهدأ قليلاً . وبعد
لغروب تحركت السيارتان هذتين إلى المدينة..

عند بيت خلتي ترجس سائق لعربة نصف النقل،
وتعاون مع زوج خالتي على نقر قطع الأثاث إلى الشقة
الحالية التي تملكها الأسرة في الطابق الأول.. بينما يسكنون
في الطابق الرابع..

أخيرً عدت إلى بيتنا منهكين، فأخذنا حمامًا وتناولنا
وجبة عشاء، وقلت لأمي:

..هذه آخر نزهة من هذا الطرار أقوم بها في حياتي..
في المرة القادمة سيكون أفضل من تقويمين به هو تركي
وشاني..

..أنت غدوت صعبة الإرضاء فعلاً..

دخلت فراشي فأغلقت النور وساد ظلام مريح . أشعر
بأن كل عضلة من جسدي في اتجاه وأسني من زنت أركب
السيارة الكريهة..

الشمس.. الشمس.. الفجر يقترب فهل نمت حقاً؟

نباح الكلب.. ماذا أتى به هذا في أحلامي؟.. لماذا
يركض خائفاً؟..

في هذه اللحظة أدركت حقيقة إنني على اتصال به..
هذه هي المرة الأولى التي أدرك فيها أن روحي على موجة واحدة
مع موجة حيوان.. أرى كل شيء من عينيه . رؤية متعجبة ومن
أسفل.. أشعر بالخطر.. أشعر به . ولكن.. من أين يأتي
الخطر؟؟ هذه الأريكة العتيقة لا شك في هذا . لا أريد أن أقرب
منها.. أخشاه كثيراً.. كل ذرة في جسدي ترفضها..

صحوت خائفة أرتجف.. نظرت للمنبه . التاسعة
صباحاً..

لا أعرف كيف نهضت فعملت وجهي وارتمت
ثيابي، ثم خرجت والجميع يدمرك
ركبت سيارة اجرة قاصدة
بيت خلتي..

الشقة في الطابق الأول كانت مفتوحة . عرفت هذا.
اقتحمت الشقة لأحد روح خلتي واقفاً يثرثر
ويضحك، ورأني فهدت عليه معالم الدهشة.

كن الأنثوية مكذباً هناك حيث تركناه أمس.. ما زال
يحمس رمال الصحراء وغبر الطريق، ويبدو أن خلتي
وزوجها استيقظا مبكراً فقررنا النزول لمعاينة ما عادا به من
الصحراء..

خلتي كانت جالسة على الأريكة في وضع تمثيلي،
كأنها تقف واحدة من الأميرات أو ممثلات الماصي العائيات..
تتكلم من أنفها وقد وضعت ساقاً على ساق..

كانت حاسة الخطر قد بلغت ذروتها عندي، فجريت
وجذبتني من ذراعها صارخة:

”انهضي!“

”هل جننت يا هدى؟“

لكي كنت قد أبعدتها فعلاً... ووقف الزوجان ينظران
لي في ذهول كأنما يتساءلان عما إذا كن وقت استدعاء عمال
مستشفى المجانين قد جاء أم لا درت حول الأريكة في حذر..
نعم.. يمكنني سماع الصوت الغاضب..

كانت هناك عصا مكنسة على الجدار فمددت يدي
وأمسكت بها، وبحذر انتزعت قطعة من تنجيد الأريكة.
كانت ممزقة في هذا الجرد بالذات على الفور تعالى المصيح
الغاضب.. وبنوت ودنا روح خلتي لننظر في رعب إلى الحيوان
الأسطواني الصخم المعطى بالحراشف الذي اتخذ مسكنه في
حشو الأريكة، والذي أخرج رأسه وراح يطلق فحيحاً .

هتف بصوت مبجوح

”الحية المقرنة.. الطريشة!.. أخطر شعبان في مصر..
عرفتها عندما كنت في الجيش، وسمها يقتل خلال نصف

الحية التي لم تجد مكاناً مريحاً من قيظ الصحراء
سوى هذه الأريكة، ونحن الذين لم نجد سوى هذه الأريكة
لأخذها معنا إلى ديارنا.. لقد كانت خالتي تجلس فوق الحية
حرفياً..

قال زوج خالتي وهو لا يبعد نظره عن الأريكة.

”اهتمدا.. إن هذا النوع الصحراوي يقفز قمرًا ولمسافات

واسعة.. يمكن أن تجديها في صدرك في أية لحظة.. اطلبي

شرطة النجدة فلا أعرف حلاً آخر!”

وبينما دارت الأحداث كما يبيني أن تدور، رحلت

أتذكر الكلب.. الكلب الذي لا تخطئ حاسته.. والذي

استطعت بفضل موهبتي أن أعرف لمحة مما يفكر فيه، ومن

المؤسف أنه لم يدخل هذه الشقة ولا لأثار رعبه ريبتنا..

بيني وبينك. اعتقد أنني يمكن أن أحب الكلاب لو

منحت نفسي الفرصة والوقت للارمين لذلك. إنها كنتت
شديدة الحساسية والدكاء، ومن الصعب ألا يقع المرء في حب
أي كائن ذكي حساس.



من كنت أعرفه فعلاً هو قريبها (عادل)، وهو شاب
ظريف مهذب كان يزور أبي كثيراً من وقت لآخر. كن
ضابطاً بحرياً يعمل في الإسكندرية، ويتردد على قريبته
العجوز من حين لآخر ليمضي يوماً أو يومين، ثم يزورنا
ليودع أبي..

لم يكن يتكلم عنها كثيراً، لكنه كن يعطي يهء ت
ساخرة خافتة توحى بأنها مجنونة فعلاً. برغم هذا كان
يجلب لها الكثير من الهدايا، كما كن يحمل لها الأسماك
البحرية التي يصعب أن تجدها هنا..

بالطبع لم يكن أبي موجوداً في الفترة الأخيرة، لذا لم
نر (عادل) لأنه كما قلت مهذب جداً، ولا يمكن أن يزورنا
في غياب صاحب البيت.

في مراهقتي كنت أتخيل السيدة عواطف كم بظهور
هذا الطراز من النساء في المسينم: عجوزاً متشككة تربى
الكثير من القطط، وتدخر مال قارون في علب طعام محفوظة.



يجب علي أن أقبل هذه الحقيقة. إنها محاولة
للاتصال..

كانت تلك الفيلا الصغيرة ذات الطابق الواحد في نهاية
شارعنا، وكنا نعرف أن أحداً لا يقيم فيها منذ زمن لأن
سكانها بالخارج معظم العام.. في النهاية تلخص هؤلاء
السكن في السيدة (عواطف). لم أرها قط لكنني عرفت ممن
حولي أنها عجوز مسنة غريبة الأطوار، وكانت بدورها راثة
غير منتظمة.. تدب الحية في فيلا وتفتح النوافذ فنعرف
أنها هناك..

ربما هي تمارس المحر الأسود كذلك أو تأكل الخفافيش..
الحق إنني كنت أخافها كثيراً، وساعد على ذلك أنني لم أرها
قط. الخيال يضحك الأشياء ويجعلها غريبة..

بالطبع لا بد أن تكتمل قصة هاته النسوة بأن يموت
مقتولات أو يمتن ميتة شنيعة، ولم تخيب السيدة (عواطف)
ظنوني..

هناك فتاة تمسة مصابة بفقر الدم اسمها (هاله) تتردد
على بيت العجوز لتنظيفه، وقد دخلت البيت في ذلك اليوم
وغابت بضع دقائق في الداخل، ثم خرجت وصراخها يهز
الشارع هزاً..

خرج الجميع ليرى ما هالك، ووقفت مع أمي وأختي
في الشرفة لنعرف مصدر الصراخ..

كانت الفتاة تولول . وفهمنا من الكلام أن السيدة
عواطف ماتت..

عندما جاءت سيارة لإسعاف وسيارة الشرطة، كان ما

وأبواه بشعاً برغم أننا رأيناه من مسافة..

كانت المحفة التي حملها رجلا الإسعاف مغطاة، لكن
العطاء تحرك فأدركنا أن هناك جثة متفحمة تماماً.. لقد
احترقت العجوز..

كانت هالة تصرخ وتولول، وعندما استعدت صوبها
دعتها أمي إلى بيتنا لتعرف منها ما حدث..

قالت هالة راجعة.

- لا بد أن الدام كنت تسخن شيئاً على الموقد عندما
تمسكت النار بثوبها المصنوع من قماش صناعي.. لا بد أنها
عرفت أنها تحترق وهرعت إلى الحمام محاولة أن تغمر
جسدها في المغطس.. لكن النار كانت أسرع وسقطت على
الأرض وماتت.. لهذا السبب لم تشتعل الفيلا كلها لأن النار
حوصرت في الحمام.. مسكينة . "

وراحت ترتجف... ثم أضفت كأنها تخشى أن تتهم

بالرقة.

..مجنونة - فليرحمها الله - ومخبونة تمامًا لكن من
الحرام أن تلقى ميتة كهذه.. "

سألته في حذر:

..هل تعتقدين أنها أشعلت النار في نفسها؟"

قلت في صلاهة:

..مستحيل.. كانت تعشق الحياة عشقًا والموت هو
الشيء الوحيد الذي يثير ذعرها.. "

بدا لي هذا مقتنعًا.. ويبدو أن الشرطة اقتنعت كذلك..

كان هذا منذ عام، وقد ظلت الفيلا مغلقة من حينها،
لكنها صارت ذات ثقل خاص في شارعنا هذا مكان ملوث
بالموت.. مكن شهد أحداثًا درامية عنيفة.. منذ عام كانت هنا
امرأة حية تصرخ وهي تحترق..

منذ أسبوع كنت أقف وحدي في الشرفة، أنظر لظلام
الليل مفكرة في مشرقات الأشياء التي تفكر فيها الأنثى عندما

تنظر لظلام الليل..

دخلت أمي الشرفة لتجمع الغسيل، وكنت تمارس
هذه العملية ليلاً لأنها تكره أن يراها الجيران. رحت أنظر
للأفق وأنا أثرثر معها ثم سألتها

..هل عاد (عادل) الفيلا قريبته؟"

قالت وهي تفرد قطعة من الغسيل على يدها

..كيف لي أن أعرف؟.. ولماذا تسألين؟"

أشرت إلى الفيلا إلى تلك الأضواء المتقطعة لصدره
منها في الواقع بدا لنا أن هناك من يضيء النور ثم يطفئه بلا
توقف..

نظرت أمي في دهشة، وغمغمت.

..لا أعرف مصدر هذه الأضواء بصراحة.. لكن من

المؤكد أن أحداً بالداخل.. "

ظللت أرقب المشهد للحظات، واعترفت لنفسى بأن فيه

شيئاً رهيباً لا أعرف كمه.

في اليوم التالي جاءت (هالة) - العقاة التعسة -
لتساعد أمي في شغل البيت كعادتها ، فسألتها أمي عما إذا كان
أحدهم قد جاء لفيلا السيدة (عواطف) .. هل عاد (عادل)
قريباً؟

قالت (هالة) في رعب:

- "لا يا سيدتي .. لكن أكثر من واحد من سكان شارعكم
رأى هذه الأضواء .. يعتقد البعض أن هذه لص .. لكن الفيلا
خالية كما تعلمين .. البعض يعتقد أن ... بسم الله الرحمن
الرحيم"

طبعاً عرفنا ما تقصده بهذه البسمة، فاتهمتها أمي
بالجنون وطلبت منها أن تسكت ..

بدأت أشك بالأمر فعلاً عندما رأيت الأضواء ذاتها في
الليلة التالية ..

كان الضوء يتوهج لفترات ثم يتوقف بضوء فترات
طويلة. ثم قصيرة . باستمرار مريب. حاولت أن أغمض
عيني واستجمع موهبتي لهم ما يحدث لكنني لم أر شيئاً ..
هنا دخلت أختي الشرفة وراحت تراقب الأضواء
بدورها .. والدهشة تعقد لسانها .. ثم هتفت:

- "لولا حشيتي أن تتهميني باجبنون لقلت إنه
إشارات ضوئية .."

- "إشارات؟ .. تشير لماذا؟"

راحت تشير:

- "هذه إضاءة تدوم لفترة قصيرة .. ثم إضاءة طويلة ..

نقطة .. شرطة .. شرطة .. نقطة .. شرطة .. نقطة .."

سألتها في حدة:

- "هل تعنين إنها إشارات موركس؟ .. ومن يرسلها؟"

- "لا أنري .. لكن يخيّل لي أن لها معنى .."

وراحت تدون على ورقة صغيرة ما تراه مستعينة
بكتيب صغير

"نقطة.. شرطة، ثم.. شرطة.. نقطة.. شرطة..
نقطة.. ثم نقطة، ثم نقطة شرطة.. نقطتان.. ADEL..
الإشارات تقول.. ADEL"

نظرت لها في ذهول.. ما تقوله غريب لكنه منطقي..

السيدة (عواطف) ترسل لف رسالتها الأخيرة.. وهذه
الرسالة تحمل اسم (عادل).. لماذا؟.. الغرض هو أن نخبرنا
باسم قتلها.. لا أرى الموضوع في أي ضوء آخر..

المعجوز الثرية التي قتلها قريبها. خبر معتاد في
صفحات الحوادث.. ضربها ففقدت الوعي ثم جرها للحمام
وأشعل فيها النار، وغادر الفيلا قبل أن يراه أحد.. لكنه نسي
أن أرواح القتلى تنتقم.. لروح قلقة تريد أن نظفر بالقاتل..
رحمت أراقب الأضواء في رعب..

ولكن من قال إن الأرواح تجيد شفرة مورس؟.. لا
مشكلة لا بد أنها تجيد أشياء كثيرة.. هذا مخيف لكنه
منطقي..

في الصباح جاءت (هالة) فسألته إن كانت تملك مفتاح
الفيلا؟

ترددت قليلاً ثم اعترفت بأنه معها.. كنت المعجوز
قد أعطتها نسخة منه، وقد ماتت المعجوز فلم يعد هناك من
تسلمه المفتاح..

قلت لها:

"أريده". لا تسألني عن شيء سوف أعيده لك غدًا.."
وناولتها بعض الأوراق المالية لأشتري سكوتها، وبعد
ساعتين كنت في الشارع أمام الفيلا، أنظر حولي.. الشارع
مزدهم وليس من يلاحظ أي شيء.. ببساطة فتحت البوابة
الحديدية واجتازت الحديقة نحو البيت..

من يتصرف بطريقة طبيعية لا يجذب انتباه أحد،
وأنا موقنة من أن مشاكل الناس تعوقهم عن ملاحظة فتاة
نحيلة تدخل فيلا قديمة عند الظهر.

أولجت المفتاح في القفل ودخلت..

المكان مظلم رطب. بالطبع لم ير الشمس منذ ذلك
اليوم الرهيب، فلولا أني في الظهيرة لمت رعباً. لكنني لست
خائفة.. لقد جننت لأساعدك يا سيدة (عواطف).. أنت تعرفين
هذا.. سوف أدخل الحمام وأحاول أن أحس بما حدث
بالضبط. ربما وجدت دليلاً أقدمه للشرطة. أنا مثلك أكره أن
يعيش قتل طليقاً بنعم بمالك بعد ما فعله بك.. فقط لا تثيري
هلعى أرجوك..

لحسن الحظ كانت النوافذ غير محكمة الغلق وكانت
الشمس تنسرب لتغمر كل شيء.. ضوء الشارع عالية.. هذا
جعلني أكثر شجاعة.. إن معي كشاف على كل حال..

أنا الآن في الغرفة التي كن يأتي منها الصوت.. غرفة
خالية إلا من فراش وكودود يبدو أنهما مستعملان ورائحة
العطن تملؤها. هناك فئران على ما أعتقد مما يجعل من
الواجب أن أنتهي من هذه المهمة. اتجهت إلى مفتاح النور
وتفحصته فوجدته في وضع الإضاءة.. هذا غريب. لا يوجد ضوء
هنا.. إذن الضوء مفصول عن الفيلا كلها ربما منذ الحادث (أو
الجريمة، وهذا يؤكد من جديد نظرية الشبح الذي يبعث
رسالة..

خرجت من الغرفة وبحثت عن الحمام..

بالفعل كان الحمام في مواجهة المطبخ دخلته حيث
كانت الشمس تغمره متسللة من نافذة ذات قضبان، ووقفت
للحظات أنتظر الشعور بشيء.. لابد أن يتم الاتصال الآن.. لو
لم يتم فمتى؟.. أنا في دارك يا سيدتي.. أنا أعرف ما
تريدين..

لكن لا شيء..

تجربة فشلة تمامًا.. من الواضح أن علي أن أرحل..

وقفت من جديد في الصالة الواسعة أصغي السمع..

هل هذا صوت أنين؟ . بالفعل هو كذلك...

مشيت نحو مصدر الصوت وقلبي يرتجف.. نظرة

واحدة.. لو وجدت ما يريب سافر كالفئران وأجلب معي رجل

شرطة أو بعض الجيران..

لصوت آت من وراء هذا الباب. ماذا وراءه؟

فتحت الباب في حذر فرأيت ظلامًا دامسًا وشممت

رائحة كريهة جدًا. بعد ما اعتادت عبيدي الظلام أدركت أن

هذا قبو.. قبو يقع تحت الفيلا، بهبط له عن طريق درجات.

هل أهبط؟

فتحت انكشاف وصوت حزمة من الضوء على

لجدران، ثم جعلتها تنحدر لتكشف ما يحدث هنا.

كان المشهد الذي رأيته غريبًا حقًا ولعله آخر شيء

توقعته..

كان هناك ذلك الجسد الملقى على الأرض تحت لوحة

توزيع الكهرباء، وفي يده عصا مكنسة طويلة يتمسك بها..

رفع رأسه الواهنة ونظر لي فرأيت وجهًا كوجوه لمجدين،

وعينين لامعتين، ولحية كثة.. لكنني عرفت كذلك أنه

(عادل)..
قال بصوت مبحوح واهن:

— "سا.. ساعديني!"

وأدركت على الفور أن قدمه مكسورة بشكل مروع..

لم أنتظر أكثر ورحت أثب الدرجات مندفعة إلى خارج

الفيلا لأصرخ.. لأطلب الشرطة والإسعاف..

وكننت قد بدأت أفهم ما حدث، وفيما بعد عرفت أن

هذه هي الحقيقة بعينها..

بعد وفاة العجوز — التي لا ذنب له فيها — عاد

(عادل) مدد أسبوع إلى لفيلا ، فلم يعرف أحد أنه هنا ، وقد قضى ليلته في تلك الغرفة المظلمة على الشارع ، وفي الصباح أراد أن يبحث عن شيء في القبو فنزل هناك في الظلام فانزلت قدمه من أعلى الدرج وتهشمت تمامًا. هكذا وجد نفسه في مأزق حقيقي هو وحده يرقد على قاع القبو حيث لا أحد يسمعه أو يعرف أنه ههنا. لم يكن معه جهاز الجوال ولو كان معه لما وجد شبكة لاتصال عاملة في هذا المكان..

لعم المسكين صرخ يومين أملًا أن يسمعه أحد في الشارع لصاحب ، لكن لا جدوى. ههنا تذكر أن هناك غرفة واحدة مضاءة في لفيلا كلها هي التي كان يقيم فيها. خطر له أن الضوء المنقطع يلفت الأنظار. هكذا زحف بجسده الواهن والتقط عصا مكنسة قديمة ، وراح يبحث في لوحة توزيع الكهرباء ليقطع الكهرباء في تلك الغرفة ويعيدها ، وقرر أن يمارس هذا النشاط ليلًا ليلفت الأنظار..

كن يعمل في البحرية ، لذا قرر أن يرسل حروف اسمه

بطريقة مرس عن طريق الضوء المنقطع. كما كان يحاول أحيانًا إرسال إشارة الاستغاثة الشهيرة SOS ثلاث نقاط. ثلاث شرط. ثلاث نقاط.

قال لي:

-كنت قد يشمت تمامًا. وصرت أفعل هذا بشك
تلقائي ، لكنني كنت متأهبًا للموت "

هكذا عرفت أنه لم يقتل العجوز.. وانني لأحمد الله
بشدة على أن غيائي لم يطر يوم آخر ، وإلا لوجدنا جثة
أخرى في القبو ، فما كان هذا المسكين ليتحمل يومًا آخر ههنا
طعام ولا شراب.



عقل صاف

من وقت لآخر 'تلقى دعوة لحضور حفل زفاف أو
خطبة واحدة من صديقاتي..

لا تيسر أسب في سن التحرج، وأن الفتيات
كبرن بعضهن لم ينظرن يوم التحرج ليرتبطن هذه لحظات
ملينة بالشجر تعرف كل فتاة، دك من العلق الداخلي بصد
قدوم دور الواحدة منا متى؟ . هر تكون فرصة جيدة؟ . ماذا
لو تأخر لأمر أكثر من اللازم؟

يجب أن تمتلك لفظة حاسة شديدة التعقيد كي تنتظر
حتى ترى أفضل المصص، وفي الوقت ذاته لا تفوت فرصة
ممنارة . الأمر يشبه المضارب في البورصة. لا يجب أن

يتعجل ويبيع فوراً، لكن عليه كذلك أن يشعر بحاسته بأفضل
فرصة للبيع. طبعاً لا ينطبق هذا الكلام على قصص الحب وإنما
ينطبق على الزواج التقليدي العادي.. زواج الصلوات كما
نسميه.

متى يأتي دوري؟.. مع من؟

من العريب أنني أملك هذه الحاسة العجيبة، لكن
القد مستغرق أمامي تمام.. فقط أنني نفسي بأنني لحظتها
سأعرف إن كان صالحاً أم لا..

هأنذا في حفل خطبة (شاهنده) صديقة الدراسة
الثانوية، والتي صارت طالبة في كلية علوم الآن، وهي فتاة
ظريفة، لكنها أقرب لعجوز طيب قصير القامة يضع عوينت
غليظة، له أسنان أرنب لطيفة مما جعلها تظفر بين صديقاتها
باسم (أربوب)، ولا يعني هذا شيئ فيما يتعلق بحبي لها..

الليلة أراها فأرى حورية من حوريات الأساطير.. لقد
تخلصت من العوينات بعدسات ملتصقة ملونة، وبدت أطول

قائمة، كما اعتنى بتجميلها خبير من خبراء لتجميل، ويبدو
أنهم قومت أسنانها العام الماضي. فلم يبق إلا أن تكون هي
سندريلا وتفر من الحفر عند منتصف الليل..

لقد شهقت دهشة ثم تماكنت نفسي، وشققت طريقي
حتى بلغتها ولثمت خديها مهنئة قلت لها صادقة إنها تبدو
فاتنة.

ثم تراجعت لأراقب كل شيء من بعيد..

مشكلة هذه المناسبات أنك تقابل كل من لم تراه منذ
خمسين سنة.. لا أشك لحظة في أن القبلة التي أشرفت على
ولادتي موجودة هنا..

قبلات.. دهشة.. قبلات.. مصافحات.. قبلات..
أحضان..

كل فتاة عرفت في حياتي هنا..

لكن جوهرة الحفل بلا أية مبالغة كانت صديقتي

(ناردين) طالبة الآداب بارعة الحسن، والتي كانت متأنقة
جدا.. حول عنقها عقد باهظ الثمن.. لا أفهم في هذه الأشياء
لكن من المؤكد أنه من الماس. (ناردين) من أسرة ثرية وقد
خطبت مؤخرًا لرجل أعمال فائق الثراء.. كان معها، وكان
مثلها في الأناقة أو أكثر.. وكان يضع دبوًا ماسيًا آخر في
ربطة عنقه. لم يكن وسيقًا لكنه كان متأنقًا..

تنهدت في حيرة.. (ناردين) تبدو وتتصرف كاللحم..
وهذا من حقها، لكن عليها أن تهتد عن العروس قليلًا.

كانت هناك شلة من الأهل منهم السعداء ومنهم
المتظاهرون بالرفي، وطبعًا حشد من العمات البشطات
والخالات الأريبات والأمهات المتشككات.. هناك كذلك
الشباب من زملائنا وأقاربنا وهم مجموعة طريفة منعمة
بالأحلام، لكن ليس هناك منهم من يصلح كعريس من غير
قصة حب.. كلهم أو أكثرهم مفلسون..

اصطدمت بناردين وخطيبها، فهلت في مرجح

.. "هدا!!"

واحتضنتني وقد جئتني لخطيبها.

.. "مراد.. للأسف أبت لم تحضري حفل الخطبة.."

صافحت هذا الفتى.. فجأة شعرت بشعور غريب من
النور.. هذا الفتى غير صادق على الإطلاق وليس كما يبدو.

قلما شعرت بشيء كهذا في حياتي.. إنه كذوب.

مدع.

كان لي رأي غير مريح في رجال الأعمال، لكن لا أعتقد
أنه لعب دوراً في هذا الانطباع.

دبرت مائدة سريعة مليئة بالتكليف، ثم هربت
رأسي محببة وبتعدت بدأت موسيق صاخبة جداً من مكان ما
فراحت القاعة تهتز، وكما هي لعدة قررت بعض الفتيات
أن يفرضن أنفسهن على لجالسين، باعتبارهن راقصات
عظيمات جداً.. المكرة هت أن هذه طريقة استعراض لا
يعترض عليها المدون ويتجاوز عنها المجتمع، بينما لو

وقفت فتاة في وسط الشارع وراحت نروح وتجيء مستعرضة
نفسها لوجدت أنها في مستشفى الأمراض العقلية بعد عشر
دقائق. العروس القادمة شاهده تتكلم مع أخيها، بينما
خطيبها يبعثر الضحكات هن وهناك. (نرددين) تقف هناك
جوار الشرفة وحدها. (مي) أين هي؟.. إنها ترقص.

كان الصخب مستمراً وأن موشكة على أن أفقد وعيي..

عندما...

عندما انقطع النور وساد الظلام...

نوت صرخات مذعورة.. صرخات مبهورة.. صرخة
أعلى من سواها..

بعد دقيقة من الذهول تناثرت أضواء خافتة زرقاء
حيث خرجت أجهزة الجوال، وصاح أحدهم.
.. "لا تقلقوا.. القاعة مزودة بمولد.."

لكن هناك المزيد من الصراخ.. فتاة بعينها تصرخ في
جزع. لا تفسر أي شيء لكن تصرخ فحسب.. بعد دقيقة عاد

الصوت ليعمي العيون وهلل الجميع...

إلا أن النظرات كلها كانت متصلة على (ماردين) التي وقفت ويدها على عنقها. عرفنا على الفور أنها مصدر الصرخ.. كنت في حالة هستيرية.

"العقد 11.. بمجرد أن انطاعت الأضواء انتزع أحدهم لعقد 11"

سدت الفوضى، وسرعان ما جاء خطيبها (مراد) وقد اكفهر وجهه وصاح آمراً.

"لا يبدون أحد القاعة... هناك نص هنا!"
ومن مكن آخر جاء أحدهم ممسكاً بذراع أحد عمال القاعة.

"هذا، لرجل الطبيب يؤكد أن أحدهم قد فصل الكهرباء.. لوحة التحكم وراء هذا الباب وهناك رافعة يمكن لأي طفل أن يجذبها لأسفل.."

"أطلبوا الشرطة"

كان العامل مدعوراً فهو المتهم الأول، لكن أحداً لم يشك فيه بالطبع.. كان عليه أن يعبر القاعة كلها وسط الأجساد والظلام لينزع العقد من عنق (ماردين).. لا أحد يمكنه عمل هذا ما لم يكن قطعاً..

من مكان ما عادت الموسيقى خافتة تعزف لكن مزاج الكل قد تعكر طبعاً وسرت الهمسات..

ربع ساعة ثم ظهر رجال الشرطة.. ضابط شاب برتبة نقيب ومعه شرطيان..

كان مرتبكاً، فالوقوف أكبر منه.. عدد المشتبه فيهم كبير فعلاً. لكنه كان منظم التفكير، لذا كان أول سؤال يوجهه هو.
"هل غادر أحد القاعة؟"

قال خطيب ناردين:

"فقط لو كان الذي سرق العقد قد جرى بسرعة البرق لينفادر المكان، لكن أعتقد أن أحداً لم يرحل.. السارق هنا والعقد كذلك.."

قال لضابط وهو يجفف العرق.

.. "أعلقو القذعة.."

ثم قل للوقوفين:

.. "أعتقد أنت مضطرون لتفتيش الحاصرين.. الرجال

سوف يدخلون القاعة الجاذبية، وسوف تأتي ضابطة شرطة

لتفتيش السيدات.."

وأمر رجال شرطة القدمين معه بالبحث في كل ركن

بمكان.. من السهل أن يضع أحدهم العقد في مزهرية أو في

دورق عصير أو وسط باقة أزهار..

برغم الاحتجاج ثم كل شيء كما طلب..

كنت أعرف جيداً أن النتيجة سلبية.. ما من نص أبله

ليسرق العقد ويدسه في جيبه. لعقد متوار في موضع ما

بالقذعة.. لكنني كنت نظرية لا بأس بها.

انتحيت بالضابط وقلت له همساً.

.. "عندما انقطع لتيار الكهربائي كانت (ناردين) تنقف

وحدها، ولم يكن خطيبها رجل الأعمال في القاعة أصلاً"

نظر لي ضاحكاً وقال كأنه يكلم مجنونة

.. "العقد ملكه؟.. هل يسرق المرء ما يملكه؟"

إنه لا يقرأ قصص بوليسية. يسرق المرء ما يملكه

عندما يكون مؤمناً عليه، ويسرق عندما يكون في ضائقة مالية

ويحتاج إلى ثمن العقد دون أن يتشاجر مع خطيبته. لقد لمست

يده وعرفت أنه مخدع غير صادق.. ربما كن في ورطة مالية

حقيقية.. هؤلاء القوم لا يبدو عليهم لفقر أبداً حتى لو كانوا

في وضع مالي شديد السوء. المظهر جرم من تجارتهم.

قلت له وأنا أبتعد:

.. "أرجو أن تفكر في هذه النقطة جيداً.."

ثمة نقطة ضعف واحدة في نظريتي هي أن لرجل

يجب أن يملك سرعة البرق ويجيد التحرك في الظلام يفص

التبر الكهربى ثم يركض كالبرق نحو خطيبته لينزع العقد ويخفيه، ثم يبتعد قبل أن يخرج أحدهم جهاز المحمول المضيء..

الصابط بالفعل اهتم بالأمر واتجه نحو (مراد) ليتبادل معه الحديث.

نظرت لساعتي.. الحادية عشرة مساءً وسوف يصل خالي بسيارته بعد قليل ليقلني للبيت. هكذا اتجهت إلى لعروس لأقبلها وألتقط صورة معها. من المؤسف أن هذه الليلة توترت بسبب هذا الموقف لكنها ستنسى بسرعة.

لثمتها على خدها وهذا ظهر مصور من مكان ما يلتقط لب صورة..

ها بدأت أشعر بتلك الأعراض الغامضة.. حاستي تتحرك.. لا أشع في هذا..

نظرت لشاهيده في رعب فنظرت لي بعينيها الملونتين

الصاعيتين في عدم فهم. مددت يدي إلى المروحة التي تمسك بها فأبعدتها بحركة تلقائية..

قلت لها همساً وأنا أضحك للكاميرا:

..لم يجسر أحد طبعاً على تفتيش العروس وحتى لو فعلوا ما كانوا ليهتموا بالمروحة.. لكسي أنصحك بأن تطوحي بها بقوة ويدك جوار المقعد، هكذا سيسقط العقد على بعد خطوات ويجده أحدهم أثناء التنظيف.. لو لم تفعلني لكان لي تصرف آخر!

شحب وجهها وبدأ أنها موشكة على أن تفقد وعيها، وهمست بصوت مبحوح:

..كيف عرفت؟

قلت كاذبة

..رأيت أخاك عندما ركب لعمر ليفس لتيسر

الكهربى.. انقطع التيار، وكنت نردين على بعد مترين منك

فوثب أحوك وبتزع العقد معتمداً على ما يذكره من موضعها
قبل الظلام ثم عاد ليدس العقد في يدك ويتعد، وأنت
دستته في المروحة..

بدأ وجهها يتبدل والدموع قادمة لعينيها فقلت.

“لا تتلفي الذكياج.. ستبددين كالقردة.. هل تم هذا
لتخطيط الآن؟”

قلت وهي تتكلف ابتسامة أمام العدسات:

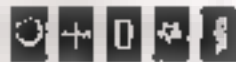
“نعم.. أنت تعرفين الضائقة التي تمر بها أنا
وخطيبي. عملياً كل ما مع أبي أنفقه في حمل الخطبة هذا، ثم
ظهرت سردين. ثرية مدللة. لا تشعر بأهمية العقد ولا
تعرف ما يمثلها لنا. هكذا رسمت خطتي بسرعة وهمست
بها لأخي وقد قام بم يجب، حصة أن ناردين كانت قريبة
منا جداً..”

قلت لها وأن أبتعد:

“سأعرف في الصباح أنهم وجدوا العقد.. ولا..”

برغم كل شيء، هي حطة ذكية، هم كس أحد ليشتبه
في العروس مهما حدث. والأعرب أن أحاف اقتنع بهذه
السرعة بأن ينقض معها هذه الجريمة..

لم أفسد شيئاً.. هي تلقت درسا لا بأس به، ولم أفسد
أجمل ليلة في عمرها.. والشرطة لن تنتهم رجل الأعمال اسمج
بشيء.. فقط الدرس الذي تعلمته أنا هو أن المرء قد يكون سمجاً
غير مريح، لكنه شريف!



الفهرس

5	فملى يا هند
19	عنوان الحقيقة
33	اضرب.. وفر
46	رائحة ما
62	أنا قلقة
75	لقد شفيت
89	ما رأيك أنت
104	احترسوا من تلك السيارة

267 أنا فاتنه

280 الكلب يعرف أكثر

294 أضواء

310 حفل صائب

119 جريمة ربح كاملة

133 يمكنني بسهولة

146 أدهم كان هنا

161 جلسة مخيفه

177 هل قتلها

191 اللذير

206 البيت

221 الضيف الغامض

237 أعطاء لغوية

251 الغول

د. أحمد خالد توفيق

صدرت له عدة
طبقات عن دار ليل
من الكتب التالية:

قوس فرح

قصة تكملها أنت

عقل بلا حسد

الغرفة 207

حظك اليوم

الآن انهم

زغاريغ

مقاصع

E.S.P

الآن نفتح الصندوق 1

الآن نفتح الصندوق 2

وسلسلة: WWW

صدر منها:

• التمازج

• البيت الأخير

• حواء الأطلال

• دماء الحظايا

• دماء النقص

E.S.P

قصص



د. أحمد خالد توفيق

اسمي (صند النياحري) ، لدي موهبة تجعلني قادرة على
 إيجاد الحقيقة في لغز الحوادث وأكثرها غموضاً .. هكذا
 استطعت أن أرفع الستار عن قصص حيرت الكثيرين وحيرت
 رجال الشرطة. هناك أسماء كثيرة لموهبتي تلك فهي
 حزمة كاملة من القدرات التي يطلق عليها العلماء اسمها
 (الحاسة السادسة). بينما أفضل أن أطلق عليها اسم
 البذر الذي الفلكل للحواس أو E.S.P ...

